

مركز وثائق
وتاريخ مصر المعاصر
٤٦

د. علي شلش

الماسونية في مصر

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر





إشراف: أ.د. يونان لبيب رزق

مدير التحرير: خلف عبد العظيم الميري

الاخراج الفنى : مراد نسيم

تقديـــــم

تبقى فى التاريخ المصرى الحديث والمعاصر تساؤلات حائرة تبحث عن اجابات ..

بعض هذه التساؤلات تدور حول بعض الاحداث الغامضة فى هذا التاريخ مثل ما عرف باسم « مذبحة الاسكندرية » فى ١١ يونيو عام ١٨٨٢ والتى مهدت للاحتلال البريطانى للبلاد ، ومثل اشتعال حريق القاهرة فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ والذى مهد لقيام ثورة يوليو من نفس العام .

بعض هذه التساؤلات حول تاريخ بعض التنظيمات السياسية والتى ظهرت واختلفت بشكل يتســم بالغموض ، ويقـدم تاريــخ الماسونية فى مصر نموذجا لهذا النوع من التساؤلات .

فهناك من نظر الى هذه الحركة باعتبارها حركة ذات طابع استعمارى بل ذهب بعض هؤلاء بعيدا الى حد القول بانها حركـة صهيونية .

بالمقابل هناك من نظر الى هذه الحركة باعتبارها احـــدى

دعائم الحركة الوطنية فى مصر واستشهدوا على ذلك بالعلاقة الخاصة بينها وبين السيد جمال الدين الافغانى ابان فترة وجوده فى مصر ٠

وليس من شك أن سببا اساسيا من أسباب هذا الغموض الطابع السرى الذى التحقت به الحركة الماسونية سواء فى داخل مصر أو خارجها مما لفها بكثير من أسباب الغموض ، ومما جعل الدراسة فيها اشبه بالملاحة فى بحار مجهولة ٠

وتحرص مصر النهضة من بين ما تحرص عليه على نشر الأعمال التى يمكن أن تساعد على اجلاء الحقيقة فى هذا الشأن ٠

والدكتور على شلش وهو يحاول أن يستجلى الحقيقة حول موضوع الماسونية فى مصر فقد سبق له أن أسهم فى هذا المجال فى العدد الواحد والعشرين من مصر النهضة عن « جمعية مصر الفتاة » وهو بذلك أحد هواة الملاحة فى البحار المجهولة الذين ترحب « مصر النهضة » باكتشافاتهم سواء اتفقت أو اختلفت حول ماهية هذه الاكتشافات مما نرجو أن يتاح معه مزيد من الفرص لنشر مزيد من الكشوف التاريخية !

وعلى الله قصد السبيل ، ،

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مقـــدمة

كانت مصر اول بلد عربى تدخله الماسونية قادمة من أوربا ٠

ولكن يجب ان نفرق بين الماسونية فى اوربا وأمريكا والماسونية فى غيرها ، ولاسيما فى المستعمرات الفرنسية والبريطانية ٠ والسبب فى هذه التفرقة أن الماسونية دخلت المستعمرات فى ظل المستعمرين وعلى أيديهم ٠ ومهما قيل عن خلو اهدافها من اى نشاط سياسى فى البلدان التى نشات فيها اصلا ، ولاسيما بريطانيا ، فقد كان من المستحيل تقريبا أن تخلو من هذا النشاط فى المستعمرات ، معاديا او متعاطفا ٠ ومهما تقنعت فى هذه المستعمرات باقنعة الحريـــة والاخاء والمساواة فهذه الأقنعة تصبح بالضرورة ذات وجهين : وجه مع الأهالى ، اهالى المستعمرة ، ووجه آخر ضدهم ، أو ليس معهم على الأقل ٠

كيف اذن ـ ومتى ـ دخلت الماسونية مصر ؟

سنغض النظر عما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية من أن بعض المصادر ترجع تاريخ الماسونية الى زمن بناء الأهرامات فى مصر ٠

وسنغض النظر أيضا عما ذكرته دائرة المعارف اليهوديـــة من أن البعض يعتقد أن الماسونية استمدت شعائرها من شعائر بناء هيكل الملك سليمان فى القدس ، ونشأت مع بنائه ، أى أن لليهود ضلعاً عريقا فى تأسيسها · وسنغض النظر مرة أخرى عما ذكرته دائـرة المعارف البريطانية من أن بعض المصادر ترجع شعائر الماسونية الى طائفة الدروز فى الشام · فهذه وغيرها دعاوى أقرب الى التمحك فى التاريخ القديم حتى تظهر الماسونية بمظهر العراقة · والعراقة فى التاريخ لا تكتسب ـ كما نعرف ـ الا بنص أو وثيقة أو مستند ·

ومن الممكن تقسيم تاريخ الماسونية فى مصر ـ على أى حال ـ الى ثلاث مراحل :

١ ـ **مرحلة التأسيس** · وتمتد من غزو مصر على يدى نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ حتى غزوها مرة أخرى على أيدى الانجليز سنة ١٨٨٢ ·

٢ ـ **مرحلة الاستقرار** · وتمتد من الاحتلال الانجليزى حتى اشتعال الحرب بين العرب واليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٨ ·

٣ ـ **مرحلة الانقراض** · وتمتد من حرب فلسطين حتى صدور قرار منع الماسونية والغاء محافلها سنة ١٩٦٤ ·

ونظرا لصعوبة البحث فى هذا الموضوع ، واختفاء سجلات المحافل ومحاضر الجلسات ، وألوان التراث الماسونى الأخرى فلا مفر ـ ابتداء ـ من الاعتماد على صحف الفترة ، والكتب والنشرات والدراسات عن الماسونية · وهذا ما طبقناه فى هذا الكتاب الذى يسعى الى القاء الضوء على تاريخ الماسونية فى مصر ·

كان الكتاب فى الأصل جزءا من كتاب أكبر بعنوان « اليهود والماسون فى مصر » ولكننا فصلناه عن أصله ، وأضفنا اليه ما استجد من معلومات حول الموضوع ، ونقحنا فصوله بحيث تستوعب العرض التاريخى والملاحق الوثائقية • ونرجو أن يكشف غموض التجربة الماسونية فى مصر ، وأن يسد النقص الكائن فى تاريخها ، وأن يشجع الباحثين على استكمال البحث فى موضوعها ، وأن يجد فيه القارىء معرفة موضوعية بغير تعقيد •

على شلش

لندن ، ١٩٩١

تمهيـــــد

يلاحظ المتتبع لظاهرة الماسونية أن ماكتب عنها يعد من الغزارة بحيث يصعب حصره فى حيز ضيق ، حتى فى العربية(1) · ولكن هذه الغزارة تكاد تنقسم الى فئتين من الكتابة ، متعارضـــتين كل التعارض : فئة تمدح واخرى تقدح · وبين الاثنتين يتوه القارىء ، ولا سيما فيما يتعلق بصلة الماسونية بالدين · وهذا ما عبر عنـــه الكاتب الانجليزى ستيفن نايت بقوله :

« لقد سقط كل ما كتب تقريبا حتى اليوم عن علاقة الماسونية بالدين فى احدى فئتين : فئة الهجوم على الماسونية من جانب اناس غير ماسونيين أو معادين للماسونية ، وفئة الدفاع عن الماسونية من جانب ماسونيين ملتزمين · ولايوجد فى الحقيقة شىء من جانب الأطراف الخارجية المحايدة »(2) ·

ويبدو أن السر فى هذه البلبلة التى تثيرها الكتابة عن الماسونية بوجه عام يرجع الى عنصر السرية فى الماسونية · فالذين ينتمون اليها يحرصون على الدفاع عنها بالطبع لتبرير انتمائهم على الأقل ،

والذين يخرجون عليها يحرصون على مهاجمتها ، لتبرير خروجهم عليها · اما الذين لم ينتموا اليها فلا يمكن أن يتوصلوا الى الحقيقة لأنهم لم يعرفوها من الداخل بحواسهم ، ولايملكون الا الموازنة بين الدفاع والهجوم للتوصل الى نقطة ترضى رغبتهم فى المعرفة · ومع ذلك ، كشف تراث الماسونية عبر القرون الماضية عن الكثير من الوثائق ومظاهر التورط فى السياسة بصفة خاصة · ومن نقطة الموازنة بين الدفاع والهجوم هذه ، وكذلك من الوثائق والدراسات التاريخية سنحاول فهم هذه الظاهرة وأسبابها ، وآثارها ، وانتقالها الى البلاد العربية ، مع التركيز على مصر ، بصفتها أول واكبر بلد عربى عرف نشاطها ·

ربما يكون من الأنسب ان نبدأ بعرض لنوع معين من الكتابة عن الماسونية يتميز بالتركيز الشديد والاحاطة بالموضوع ، وهو النوع الذى نجده فى دوائر المعارف والموسوعات العامة · وقد اخترنا أربع دوائر من هذه : اثنتان تتمتعان بثقة الكثيرين ، والأخريان جديدتان على هذا الميدان ، ولكنهما تحاولان الاستقلال برؤية معينة للأمور · وتشكل هذه الدوائر أو الموسوعات الأربع ـ فى الوقت نفسه ـ نوعا من التباين فى الرأى ، المطلوب فى مثل هذه الأحوال · كما تعكس فى مجموعها أهم وجهات النظر المعاصرة فى هذا الموضوع بالذات ، سواء اتفقنا أو اختلفنا معها · وهذه الدوائر الأربع بترتيب اختيارنا لها ـ على أساس ترتيب ظهورها فى الانجليزية ـ هى : البريطانية ، الأمريكية ، اليهودية ، السوفيتية ·

يقول محرر مادة « الماسونية » فى دائرة المعارف البرطانية » (طبعة ١٩٨١) ان الماسونية هى التعاليم والممارسات الخاصة بالطريقة الأخوية السرية للبنائين الأحرار والمقبولين (من غير البنائين) · وهى أكبر جمعية سرية فى العالم ، انتشرت بفضل تقدم

الامبراطورية البريطانية ، وظلت اكثر الجمعيات شعبية فى الجزر البريطانية ، وغيرها من بلدان الامبراطورية (سابقا) وقد نشأت من النقابات التى الفها البناؤون عندما تولوا بناء القلاع والكاتدرائيات فى العصور الوسطى • ولما توقف بناء الكاتدرائيات بـدأت بعض محافل البنائين العاملين فى قبول اعضـــاء فخريين لمنع تدهور الاقبال على عضويتها نتيجة توقف عمليات البناء • ومن هذه المحافل نشأت الماسونية الحديثة النظرية أو الرمزية • وبدأت بممارســات ورموز النقابات العاملة القديمة ، ولكنها مالبثت أن اتخذت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر شعائر وتقاليد الطرق الدينية القديمة والأخوة الفروسية • وفى سنة ١٧١٧ تأسس المحفل الأكبر ، وهو رابطة تجمع جميع المحافل فى انجلترا ، ثم انتقلت فكرة المحفل الأكبر الى البلدان الأخرى •

ويضيف المحرر أن الماسونية واجهت ــ منذ بدايتها تقريبا ــ معارضة شديدة من الأديان المعروفة ، ولاسيما من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية • ولم تلبث أن منعت فى الاتحاد السوفيتى والمجر وبولندا وأسبانيا والبرتغال واندونيسيا ومصر وغيرها • ولكن الماســـونية ليست مؤسسة مسيحية كما فهمت خطأ فى كثير من الأحوال • فهى تضم كثيرا من عناصر الأديان وتعاليمها ، وتحض على الاخلاق والاحسان وطاعة قانون البلاد • ويشترط فى طالب عضـــويتها أن يكون ذكرا بالغا مؤمنا بوجود كائن أسمى ومؤمنا أيضـــا بفنـــاء الروح • ومع ذلك اتهمت بعض المحافل بالتحيز ضـــد اليهـــود والكاثوليك وغير البيض • وقد اجتذبت فى البلاد اللاتينية المفكرين الأحرار والمعادين للأديان ، على حيث اجتذبت فى بريطانيا وشمال أوربا والبلاد الأنجلو سكسونية كثيرين من البروتستانت البيض(٢) •

وفى موضع أخر يذكر المحرر أن المحافل الماسونية ازدادت فى

ايطاليا فى نهاية القرن الثامن عشر مما أدى الى ازدياد الرغبة فى النقاش السرى لمشكلات مختلفة • وحين قامت الثورة الفرنسية فى القرن ذاته لم يؤيدها جميع الماسونيين وكانت لهم مطالب ديمقراطية فى بولونيا وميلانو ونابلى فى ايطاليا ، حيث ازداد عدد المفكرين الأحرار المؤيدين للجمهورية فى فرنسا ، وان كانت الحكومات الايطالية اجمعت على معارضة فرنسا وثورتها • ولكن لم تلبث محافل نابولى أن أيدت الثورة الفرنسية ، ثم بدأت الأنشطة السرية والمؤامرات السياسية فى الظهور حتى راح ضحيتها الكثيرون ، وهاجر بعض أعضاء المحافل الى فرنسا(٤) •

فى موضوع آخر ايضا يقول المحرر أن ظهور الجمعيات السرية ، ولاسيما الماسونية ، ازداد فى بولندا فى الفترة من ١٨١٩ الى ١٨٢٥ بسبب اعتداء الملك اسكندر الأول على الدستور اكثر من مرة • ثم ازداد ظهور هذه الجمعيات فى المدن البولندية الأخرى(٥) • ويقول فى موضع رابع أن الماسونيين فى روسيا شاركوا خلال القرن الثامن عشر فى الانفتاح على العلوم والمعارف ، وتبنوا تيارا اصلاحيا واضحا(٦) •

أما « دائرة المعارف الأميركية » (طبعة ١٩٨٣) فيقول محرر مادة « الماسونية » انها اسم ودى لجمعيات تطوعية من الرجال تستخدم أدوات البنائين كرموز فى تلقين الحقائق الأخلاقية الأساسية التى تؤكد أبوة الله وأخوة البشر • ومن قواعدها الا تدعو أحدا للانضمام اليها ، وانما يتقدم الطالب عن طريق عضو عامل • وهدفها الأول أن تخلق رابطة أخوية عالمية بين البشر الخيرين • وهى تعلم أعضاءها الاعتناء بمهاراتهم وتحسينها ، وخدمة الغير وحسن معاملتهم • ومع انها ليست جمعية دينية فهى دينية من حيث أن افكارها تتضمن أسس كثير من الأديان ، فضلا عن أن اجتماعاتها

تبدأ وتنتهى بصلاة • وهى أيضا ليست جمعية سرية كما يزعم البعض احيانا لأنها لاتخفى وجودها وأهدافها وعملها • وتتوحد محافلها عادة تحت اشراف محفل كبير فى كل بلد او ولاية او وحدة سياسية • ولكن لاتوجد سلطة ماسونية مركزية على مستوى العالم او فى امريكا او كندا ، وانما يوجد فى العالم كله نحو خمسة ملايين ماسونى معظمهم فى الولايات المتحدة (٥ر٣ ملايين) وينضم اليها اعضاء من مختلف الأديان والجنسيات • فهى دولية وديموقراطية بالرغم من انها انتقائية فى عضويتها • وقد انضم اليها ١٤ رئيسا امريكيا ابتداء من جورج واشنطن الى جيرالد فورد (نسى المحرر اضافة رونالد ريجان) •

ويضيف المحرر أن كثيرين من المشاهير فى العالم انضموا الى الماسونية ، مثل الموسيقار موتسارت ، والممثل جون وين ، والجنرال ماك آرثر والمليونير هنرى فورد • وكان اول كتاب فى العالم الغربى عنها من تاليف بنيامين فرانكلين • ومع انها دخلت الولايات المتحدة سنة ١٧٢٥ فقد تعرضت سنة ١٧٣٠ لأزمة نتيجة اختفاء أحد العمال فى نيويورك واتهام الماسونيين باخفائه • وبسبب هذه الأزمة تكون حزب معاد للماسونية ، واغلقت محافل كثيرة ، وانفض كثيرون عن الماسونية حتى هزم الحزب المعارض لها فى انتخابات ١٨٣٢ فخفت حدة العداء ، واستأنفت المحافل نشاطها سنة ١٨٤٠ • ثم ازداد نموها حتى اصبحت اليوم تتصل بمنظمات خاصة للنساء والبنات والأولاد بعد ان كانت قاصرة على الرجال • بل اصبحت تملك مستشفيات ودور رعاية ومؤسسات عيون وبنوك دم ، وتقدم منحا دراسية للطلاب(٧) • (من ابناء الماسونيين بالطبع) •

واما « دائرة المعارف اليهودية » فيقول محرر مادة « الماسونيون » انهم اعضاء جمعية سرية نشات من روابط المهنيين التى كانت تتكون أساسا من البنائين • ومنذ القرن السابع عشر

ظهرت هذه الجمعية كمؤسسة اجتماعية ، وأسست مبادئها وكلمات سرها ورموزها وشعائرها التى يعتقد أنها مستمدة من شعائر بناء أول معبد في القدس • وقد بدأت الماسونية الحديثة فى انجلترا سنة ١٧١٧ ثم انتشرت فى القارة الأوربية • وكانت المحافل تعد نفسها مرتبطة بأخوة واحدة • فاذا اتاها عضو من أى محفل بشـــهادة عضويته وكان يستحق المساعدة تلقى مساعداتها على الفور • وكانت تسمح بالتحاق أى شخص صادق وشريف من أى ملة عن طريــق الترشيح والاختيار • وكان دستورها يقضى بأن يلتزم العضو « بذلك الدين الذى يوافق عليه جميع البشـــر محتفظين لأنفسهم بآرائهم الخاصة » كما يقضى بأن يعلن العضو تسامحه الدينى على أساس الاعتقاد بالله والكائن الأسمى • وليس من المعروف ما اذا كان اليهود أثروا فى تشكيل الدستور وصياغة مواده • « ومع ذلك صيغ بطريقة تسمح بعضوية اليهود » • ولذلك تم قبول أحد اليهود سنة ١٧٣٢ فى أحد محافل لندن حين طلب الالتحاق • « وظلت أبواب المحافـــل الانجليزية مفتوحة أمام اليهود من ناحية المبدأ بالرغم من وجود تمييز من الناحية العملية » •

يقول المحرر أيضا أن اليهود انضموا الى المحافل الماسونية فى منتصف القرن الثامن عشر ، لا فى انجلترا وحدها وانمـــا فى هولندا وفرنسا والمانيا أيضا • وفى عام ١٧٩٣ أسس يهود لنـــدن محفلا يهوديا أطلقوا عليه اسم « محفل اسرائيل » ومع ذلك أصيب التسامح الماسونى بالضعف نتيجة هجوم القطاعات التقليديـــة من جميع الأديان على الماسونية وتشككها فى نواياها النهائية • فقـــد حرمتها الكنيسة الكاثوليكية ـ ومازالت ـ فى اعلان أصـــدره البابا كليمنت السابع سنة ١٧٣٨ • وشكك فيها البروتستانت واليهود المحافظون • ورد الماسونيون باعتذار حاولوا فيه البرهنة على أن الماسونية ليست مؤسسة معادية للمسيحية ، وانهـــا لاتقبـــل الا

المسيحيين ، أما اليهود والمسلمون والوثنيون فليسوا أهلا لها ·
« ومع ذلك لم يحدث أى اعتراض من ناحية المبدأ على طالبى العضوية من اليهود فى انجلترا وهولندا · أما فى فرنسا فقد أوقفت الثورة هذه الاعتراضات · وبذلك أصبحت الماسونية هناك نوعا من الكنيسة العلمانية يشارك فيها اليهود بحرية · فادولف كريميو (المحامى والوزير اليهودى الصهيونى الفرنسى) لم يكن ماسونيا منذ شبابه الباكر وحسب ، بل أصبح فى سنة ١٨٦٩ الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر على الطريقة الاسكتلندية فى باريس » ·

ويمضى المحرر اليهودى فيقول ان دخول اليهود المحافل الألمانية ظل أمرا مختلفا عليه طوال أجيال ، وانهم ظلوا ينضمون للمحافل كلما خرجوا من المانيا فى سفر الى هولندا وانجلترا وفرنسا قبل الثورة ١٧٨٩ · وحين غزا بونابرت المانيا بجيوشه أنشأت هذه الجيوش عددا كبيرا من المحافل فى المانيا · بل تأسس فى فرانكفورت محفل يهودى باسم « الفجر الوليد » · واعتمده محفل الشرق الأكبر فى باريس سنة ١٨٠٨ ، مما أحنق بعض المحافل الأخرى فى المانيا ضد اليهود فعدلت دساتيرها من أجل استبعادهم من عضويتها · ثم احتج المثقفون الماسونيون الألمان فى ثلاثينات القرن التاسع عشر على استبعاد اليهود ، وساندهم فى ذلك ماسونيون من هولندا وانجلترا وفرنسا ، بل من نيويورك · وفى سنة ١٨٤٨ سمحت بعض المحافل الالمانية بدخول اليهود كزوار على الأقل · ثم جاءت ثورة ١٨٤٨ فشطبت بعض الفقرات التى تستبعد اليهود فى دساتير المحافل واعترفت المحافل الألمانية بمحفل الماسونيين اليهود فى فرانكفورت ·

وظل موقف اليهود بين الشد والجذب حتى هبت ريح العداء للسامية على رايخ بسمارك فاتخذتها المحافل الألمانية سنة ١٨٧٦ سياسة لها نحو اليهود · وظل الصراع قائما بين الطرفين طوال القرن الماضى ·

يقول المحرر أيضا فى هذا العرض التاريخـــى ان اليهـــود والماسونيين اتهموا فى المانيا خلال ستينات القرن الماضى بتخريب المجتمع التقليدى وتدميره • ثم انتقل هذا العداء الى فرنسا فظهرت كتب كثيرة تؤكد « الخطر اليهودى الماسونى » ولعبت فكرة التعاون السرى بين اليهود والماسون دورا مشبوهـــا فى قضـــية دريفوس (الضابط اليهودى الفرنسى الذى اتهم بالخيانة فى الحرب مع ألمانيا سنة ١٨٧٠) وأصبحت احدى بدهيات العداء للسامية • كما تضمن كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » ـ الذى نشر فى روسيا لأول مرة سنة ١٩٠٤ ـ فكرة مؤامرة يهودية ماسونية للسـيطرة على العالم • وكانت الماسونية فى المانيا حتى ذلك التاريخ تعد عند معظم الدوائر جمعية محافظة ومعادية للسامية الى حد ما • فلما ترجمت البروتوكولات الى الألمانية والانجليزية فى عشرينات هذا القرن عد اليهود والماسونيون عملاء سريين تسببوا فى اشتعال الحرب الأولى وهزيمة المانيا • وأصبح شعار « اليهود والماسون » صيحة حرب عند اليمين الألمانى ، استغلها هتلر فى صعوده الى السلطة • وخلال الحرب الثانية اضطهد النازيون الشيوعيين والماســـون واليهود معـــا •

وينتقل المحرر بعد ذلك الى الولايات المتحدة الأميركية فيقول « ان الأسماء اليهودية تظهر فى قوائم مؤسسى الماسونية فى أميركا، والحق أن اليهود هم فى الغالب أول من أدخل الحركة هناك » • ويضرب أمثلة عديدة على ذلك(٨) • من بينها مثال موسى مايكل هيز الذى أدخل الطريقة الاسكتلندية الى الولايات المتحدة ، وعين سنة ١٧٦٨ نائب مفتش عام على الماسونية فى أميركا الشـــمالية كلها ، ونظم محفل الملك داود فى نيويورك ثم نقله الى نيوبورت سنة ١٧٨٠، ثم شغل درجة البناء الأكبر للمحفل الأكبر فى ماساتشوستش من

١٧٨٨ الى ١٧٩٢ • وقد بلغ من ايمان اليهود بالماسونية فى ذلك الوقت انهم استخدموا شعائرها فى الاحتفال بوضع حجر الأساس للمعبد الجديد الذى اقاموه سنة ١٧٩٣ بمدينة تشارلستون فى ولاية ساوث كارولينا • أما مابعد ذلك فلا يظهر لليهود اثر كبير كهذا فى أميركا • ولكنهم حملوا المحفل الأكبر فى نيويورك سنة ١٨٤٣ على توجيه رسالة الى المحفل الأم فى برلين بالشكوى من رفض المحافل الألمانية قبول اليهود المسجلين فى المحفل الاميركى بسبب يهوديتهم • وقد ظلت الماسونية الأميركية على ولاء لمبدأ العلمانية فى شئون الدين ولم يحدث أن استبعدت اليهود فى يوم من الأيام • بل ان طابع السرية والشعائر والملابس الخاصة الذى ميز محفل بناى بريت فى سنواته الأولى كان يعكس تاثير الممارسات الماسونية عند اليهود ، ورغبتهم فى تقديم بديل ماسونى داخل الجماعة اليهودية هناك •

يختتم المحرر هذا العرض الذى استطردنا فيه معه لجدة معلوماته على الموسوعات المشابهة ، فيتحدث عن الماسونية فى اسرائيل • ويقول ان القدس تعد عند الماسونيين مسقط رأس الماسونية منذ اقامة معبد الملك سليمان ، ولكن المحافل لم تعرف هناك الا فى منتصف القرن الماضى • فقد تاسست خلال الحكم العثمانى ستة محافل فى فلسطين كان أولها فى القدس فى مايو ١٨٧٣ على شريعة المحفل الأكبر فى كندا • ثم ازداد عدد المحافل مع الزمن حتى تشكل المحفل الأكبر المتحد سنة ١٩٥٣ من جميع المحافل العاملة التى بلغ عددها ٦٤ محفلا سنة ١٩٧٠ • وتضم هذه المحافل ٣٥٠٠ عضو عامل من اليهود والمسلمين والمسيحيين والدروز(٩) •

واخيرا نصل الى « دائرة المعارف السوفيتية الكبرى » (طبعة ١٩٧٧) • وفيها يقول محرر مادة « الماسونية » انها حركة دينية وخلقية تدعو الى وحدة البشر على أساس الاخاء والحب والمساواة

والعون المشترك • وعلى هذا الأساس من افكار البورجوازية دخلتها عناصر صـــوفية • ثم ينقل المحرر عن الواعظ اللندنى الماسونى جيمس اندرسن فى كتابه « الدساتير » (صدر سنة ١٧٢٣) قوله : « ان الماسونى كان يلقن الا يكون كافرا غبيا ، والا يكون مفكرا حرا غير متدين » ، وان يحترم السلطات المدنية والا يشترك فى الحركات السياسية • ولأن الماسونيين رفضوا المعتقدات الكنسية الجامدة فهم يحترمون الله كمهندس اعظم للكون ، ويتسامحون مع اى دين ، ويخاطب بعضهم بعضا بكلمة « الأخ » • ولهم درجات اساسية فى المحافل مثل : التلميذ او الطالب او المريد او الصبى ، زميل الصنعة او الشريك ، الأستاذ او البناء او « الأسطى » ، الأستاذ الأكبر او « كبير الاسطوات » اذا شئنا كلمة عامية اخرى • كما انهم يستخدمون ادوات البناء الرمزية مثل القدوم والفرجار والبوصلة والمرولة والقفافيز •

ويضيف المحرر أن الماسونية كانت تهدف الى توحيد العالم فى اتحاد اخوى دينى ، ثم اتخذت طابعا ارستوقـــراطيا فى اوربا ، وازداد الحاحها على الصوفية بدلا من العقلانية • ولكن دورها ونشاطها يختلفان من بلد الى بلد ومن عصر الى عصـــر • وكان انصارها يضمون ملوك بروسيا (فردريك الثانى والثالث) وانجلترا (جورج الرابع وادوارد السابع والثامن) والســـويد (جوستاف الثالث) ، فضلا عن رؤساء الولايات المتحدة مثل واشنطن وترومان ، والساسة مثل تشرشل ، والفلاسفة والأدباء مثـــل فولتير وفختـــه (الألمانى) وجوته وتورجنيف ، والفنانين مثل موتسارت وهايدن • وقد حاول انصارها فى ايطاليا وبولندا ، منذ مطلع القرن الماضى ان ينقلوا نشـــاطها الى السياسة والتآمر بعد فترة كان البابوات قد اصدروا خلالها عددا من المنشورات التى تدين الماسونية وترمـــى اعضاءها بالالحاد •

يقول المحرر أيضا أن روسيا لم تعرف المحافل الماسونية قبل ثلاثينات القرن الثامن عشر . ومع ذلك قامت هذه المحافل بدور بارز فى المعارضة السياسية ، واستقطبت كثيرا من المثقفين ، وتفاوت فكر أصحابها بين الثورية والاصلاح والمحافظة ، حتى منعت فى روسيا كلها سنة ١٧٩٢ عند قيام الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ثم عادت الى الظهور فى عهد القيصر اسكندر الأول ، ولكن تحت رقابة الحكومة . ومع ذلك لم تكف عن التآمر وتشجيع حركة « الديسمبريين » المعارضين للقيصر . ثم انفصل عنها أصحاب هذه الحركة فى بداية عشرينات القرن الماضى ، وتعرضت للمنع مرة أخرى سنة ١٨٢٢ . وبرغم عودتها ـ حتى منعها نهائيا بعد ثورة ١٩١٧ ـ لم تلعب دورا يذكر فى تاريخ الفكر الروسى(١٠) .

ماذا نستخلص من هذا العرض الموجز الذى حاولنا فيه تفادى تكرار المعلومات المحتمل فى مثل هذه الحالة ؟

يمكن أن نستخلص أمورا كثيرة فى الحقيقة ، ولكننا نجمل هذا الكثير فى نقاط محددة أهمها مايلى :

١ ـ نشأت الماسونية فى انجلترا متأثرة بالشكل التنظيمى لنقابات البنائين . ويلاحظ أن هذا الشكل التنظيمى ذاته لم يكن قاصرا على انجلترا أو أوربا ، وانما كان معروفا فى الشرق . فقد كانت الحرف فى مصر خلال العصور الوسطى وحتى القرن الحالى ـ على سبيل المثال ـ تنظم فى أشكال وأوعية تنظيمية شبه مغلقة . وكان لكل حرفة كبير أو شيخ يتبعه « أسطوات » وصبيان أو مساعدون ، ينتمون اليه عادة بصلة القرابة ، حفاظا على سر المهنة من الضياع . وهكذا انتفعت الماسونية بما كان معروفا عند أصحاب حرفة البناء من التخفى والتعاون والمحافظة على سر المهنة . ولعلها كانت أمينة فى

احتفاظها ببعض رموز البناء ودرجات العاملين فى حرفته · أما ما يقال فى كثير من الكتب الماسونية عن قدم الفكرة وممارستها قبل ظهورها في انجلترا فأمر لايوجد عليه أى دليل أو مستند تاريخى ، بالرغم من أن الجمعيات السرية أقدم من التاريخ ذاته فى الغالب · ومن انجلترا انتقلت الماسونية الى البلدان الأخرى فى أوربا ، ثم انتشرت عن طريقها فى مستعمراتها ·

٢ ـ تعد الماسونية أكبر جمعية سرية فى العالم كما قال محرر الدائرة البريطانية ، وان كان محرر الدائرة الأميركية ينكر هذه السرية بدعوى أن الماسونية لاتخفى وجودها وأهدافها وعملها · واذا صح ذلك فلماذا تحرص المحافل على طابع السرية فيما يتصل بالشعائر وعدم دخول الغرباء على الأقل ؟ واذا صح ذلك أيضا فلما لاتصبح المحافل مثل الأندية ذات العضوية الخاصة ؟ واذا صح ذلك مرة أخرى اليوم فلم يكن صحيحا بالأمس ، لا فى انجلترا ولا فى بلدان أوربا والشرق الأوسط · ومن الملاحظ أن الماسونية فى أميركا بالذات بدأت فى التحرر فى بعض النواحى · فالمحافل الأميركية هى الوحيدة فى العالم تقريبا التى فتحت بعض أبوابها للنساء والصبيان والبنات ، وبدأت تمارس نشاطا اجتماعيا واضحا · ومع ذلك تظل اجتماعاتها مغلقة ومناقشاتها سرية · فهل لزمت الماسونية السرية حتى تثير فى طالبيها الفضول لمعرفة الأسرار ؟ لو كان الأمر كذلك لفتحت عضويتها لمن يتقدم لا لمن يرشحه عضو عامل أو أكثر · ومن الملاحظ أيضا أن أى انحراف للماسونية ـ حتى من وجهة نظر أنصارها ـ كان ومازال يرجع الى طابع السرية فيها · وكانت هذه السرية مغرية جدا فى كثير من الأحوال فى ظل الأنظمة الدكتاتورية والشمولية ، مغرية بالتآمر والجرائم ، لسبب بسيط هو أن المحافل هى الجمعيات السرية الوحيدة المصرح بها فى البلاد التى تحتضنها ·

وستظل هذه السرية ، سواء كانت صحيحة أو مزعومة ، مكمن الخطر دائما فى الماسونية ، او مكمن الشبهة على الأقل ·

٣ ـ تصر الماسونية على عنصر الدين بمعنى انها تدعو أعضاءها الى أن يكونوا على دين من جهة ، وأن يتفقوا على أن الكون يسيره مهندس او بناء أعظم · ولكنها فى الوقت نفسه تصر على عدم الخوض فى الدين أو السياسة · فكيف يتفق هذا مع ذاك ؟ واذا كانت الأديان المعروفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فما هو الجديد الذى تقدمه الماسونية ؟ هل فرغ انصار هذه الأديان من تحقيق المعروف والخير والقضاء على المنكر والبغى حتى يتطلعوا الى أهداف أخرى ؟ واذا كانت الماسونية فى الماضى والحاضر قد انتشرت هذا الانتشار وأغرت الملوك والرؤساء والقواد وأولى الحل والعقد بالانتماء اليها فهل استطاع هؤلاء ان يقدموا من خلالها خدمة واحدة للبشر ؟

هل استطاعت « الأخوة الماسونية » ان تمنع حربا او تحل مشكلة تمس الوجود البشرى على ظهر الأرض ؟

لاشك أن عمل الخير كثير الأبواب ، ولكن الانسان العادى حين يقرأ أو يسمع عن تلك الأسماء الرنانة ، داخل المحافل الماسونية ، يتوقع من أصحابها شيئا اكبر من بناء مستشفى او التبرع بمنحة دراسية لطالب او زجاجة دم لجريح · اما ملاحظة محرر الدائرة الأمريكية ان الماسونية ليست جمعية دينية ، ولكنها دينية المبادىء ، فلا تحل المشكلة ولاتجيب عن هذه الأسئلة ·

٤ ـ دخلت الماسونية امريكا على ايدى اليهود · ومعنى هذا ان اليهود ادخلوها كأقلية حتى يصنعوا لأنفسهم نوعا من المظلة الواقية · فمن الواضح من العرض السابق ان الماسونية ـ فكرة

وتطبيقا ـ نشأت بدافع أساسى ، هو خدمة أقلية معينة تمثل مجموع اعضائها ، حتى حين بدأت كنقابة ـ أو مايشبه النقابة ـ للبنائين القدماء • ولايمكن تصورها ـ حتى اليوم ـ خارج نطاق الأقلية ـ فهى تنظيم للاقلية بحكم النشأة والممارسة • وليس من المستبعد أن يكون لليهود دور فى نشأتها القديمة أو الحديثة ، وفى توجيه بعض محافلها لخدمة اغراضهم كأقلية • فهذا كله أمر طبيعى لايستبعد ولايستغرب • بل يوحى به قول محرر الدائرة اليهودية ان دستور الماسونية قد صيغ بطريقة تسمح بعضوية اليهود • فلماذا اذن لا يحتمل أن يكون لليهود ضلع فى هذا الدستور ؟ لقد واجهوا ـ عبر تاريخهم الطويل ـ اضطهادا مريرا فلماذا لا نتوقع منهم ان يعملوا على حماية انفسهم بمختلف الوسائل ، وأن ينشطوا داخل المحافل ؟

لقد ذكر المحرر اليهودى اسم أدولف كريميو (١٧٩٦ ـ ١٨٧٤) الذى مر بنا • وهذا الرجل يحتل عند اليهود والصهاينة مكانة مرموقة • ولانعتقد انه كان ليتأخر عن خدمة بنى ملته عن طريق نفوذه ودرجته فى الماسونية • فقد كان ايضا رئيسا للطائفة اليهودية فى باريس • وهذا أمر طبيعى يتساوى تماما مع استغلال الايطاليين والبولنديين للمحافل الماسونية فى بلادهم ، ونجاحهم فى تحويلها الى خلايا سياسية وتآمرية لخدمة اهدافهم • فمن حق اى جماعة اذن أن تستغل الماسونية ـ أو غيرها ـ مادامت تشكل فيها مركز قوة • وسوف نرى كيف استطاع اليهود والصهاينة فى مصر أن ينتفعوا بمركز القوة الذى حققوه فى المحافل الماسونية •

٥ ـ **تعد الماسونية فى النهاية ظاهرة نسبية** ، تختلف فى نشأتها وتطورها من بلد الى بلد ومن عصر الى عصر • بل ان سريتها أو علنيتها كانت دائما مسألة نسبية أيضا تحددها التيارات السائدة فى المحافل واتجاهات الريح السياسية فى الدولة •

وفى هذه النقاط الست تتلخص التجربة أو الظاهرة الماسونية.

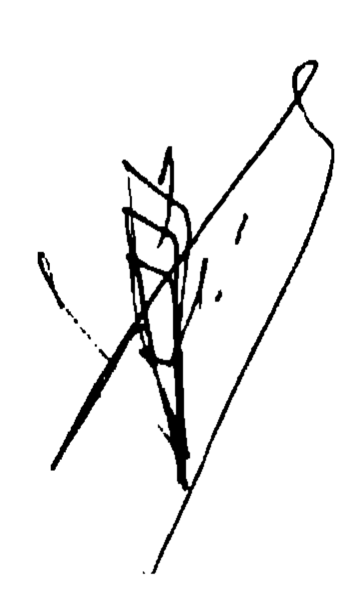
ولكن هناك تجربة أخرى للماسونيين أنفسهم مع مصر ، وهـــى تجربة من طرف واحد ، أشار اليها الباحث الانجليزى مارتن برنال فى كتابه « أثينا السوداء » . فقد ذكر أن الماسونيين الأوربيين تبنوا فى القرن الثامن عشر كثيرا من أفكار اليونان القديمة عن مصر . بل اهتموا بمصر منذ العصور الوسطى ، وعدوها مهبط الهندسة والبناء . وعندما تكونت الماسونية التأملية فى بداية القـــرن ١٨ اتخذوا مصر نموذجا لعقيدتهم ، وجعلوا رموزهم شبيهة باللغــة الهيروغليفية ، ومحافلهم شبيهة بالمعابد الفرعونية ، بل جعلوا أنفسهم أشبه بالكهنة المصريين القدماء ، فى الوقت الذى أسقط فيه الأكاديميون فى أوربا مصر – من حسابهم ـ كمعلم لليونان . وعندما أخـــذ الماسونيون بعض تعاليمهم وأساطيرهم من الفينقيين لم يسقطوا مصر من حسابهم . فهم يسمون الله باسم مركب من مقاطع هو «يعبلون» Jabulon المقطع « يا » اختصـــار لكلمة « ياهوه » اله اسرائيل ، والمقطع « بول تحريف لكلمة « بعل » اله الكنعانيين ، والمقطع « أون » هو الاسم العبرى لمدينة « عونو » المصرية القديمة المعروفة عند الاغريق باسم « عين شمس » . وكانت هذه المدينــة ـ عند القدماء ـ مركز العلم ومهبط الحكمة الباطنيـــة وعبـــادة الشمس(١١) .

معنى هذا أن الماسونيين الأوربيين الأوائل لم يخفوا اعتزازهم بمصر فى الوقت الذى كانت فيه الدوائر الجامعية الأوربية تعتز باليونان ، وتعدها مصدر المعرفة والحضارة . وترتب على الاعتزاز الماسونى أن المعابد الماسونية مازالت تقام حتى اليوم على صورة المعابد الفرعونية ، ومازالت رموزهم أشبه بالهيروغليفية، مثل الأهرام والعين اللذين يتصدران ـ حتى اليوم ـ خاتم الولايـــات المتحدة الرسمى وعملتها الورقية . وكان مصدرهم فى هذا كله كتاب Séthos

للأديب الفرنسى الأب تيراسون الذى راج فى أوربا خلال القرن ١٨ ، وصار مصدر عدد من المسرحيات والأوبرات مثل « الناى السحرى » لموتسارت · ومع أن هذا الكتاب اتخذ الشكل القصصى فقد صار مصدر التاريخ الماسونى وأساطير الماسونية وشعائرها لأن معلوماته عن مصر القديمة كانت شديدة الغنى والطرافة وقت ظهوره ·

وقد ظهر الكتاب عام ١٧٣١ بعنوان « سيتوس » وتحته عنوان آخر فرعى هو « تاريخ وحياة مستقيان من الآثار : حكايات من مصر القديمة » · أما سيتوس فهو أمير مصرى ، ولد قبل حرب طروادة ، وأنجب رمسيس الثانى · وهو أيضا بطل هذه الرواية التعليمية الشبيهة برواية « تليماك » لفنيلون التى ترجمها رفاعة الطهطاوى فى منتصف القرن الماضى · ولكن رواية سيتوس أو سيتى هذه تلح على فكرة تفوق المصريين على الاغريق ، وتاثيرهم الكبير عليهم ، فى مجالات السياسة والفلك والهندسة والحساب · كما تلح على فكرة تاثر الفينيقيين بالحضارة المصرية القديمة(١٢) ·

وهكذا ساهمت مصر ــ دون أن تدرى أو تقصد ــ فى بناء الماسونية العملية يوم أقامت بناياتها الضخمة مثل المعابد والأهرامات ثم ساهمت فى بناء الماسونية التاملية والرمزية يوم اتاحت لأنصارها الكثير من مظاهر التفوق الحضارى والثقافى القديم ·



الفصـــل الأول

مرحــلة التــاسيس

تروى بعض المصادر أن مصر عرفت الماســـونية بمدينــة الاسكندرية عام ١٧٤٧(١٢) · ولكن هذه الرواية ضعيفة · فالمشهور والمتواتر أن مصر عرفت المحافل الماسونية عقب غزو بونابرت سنة ١٧٩٨ · وكان جرجى زيدان أول من أرخ فى العربية لتاريــخ هذه المرحلة · وعنه نقلت جميع المصادر العربية التالية بعد صدور كتابه « تاريخ الماسونية العام » سنة ١٨٨٩ ·

وقسم زيدان تاريخ الماسونية فى مصر الى طورين على نحو مايفعل المؤرخون الأوربيون : الطور العملى المتصل بتكوين منظمات البنائين الفعليين أو نقاباتهم ، والطور الرمزى المتصل بالمحافــل الحديثة التى أخذت رموزها عن البنائين القدامى · و عد الماسونية قديمة العهد فى مصر من حيث طورها العملى ، « لأن الجمعيــات المصرية السرية كانت تعلم مايقرب كثيرا من تعاليم الماسونية » · وهذه الجمعيات قديمة فى رأيه ، ترجع الى عهد بناة الأهــرامات والمعابد الضخمة · ومع ذلك جاءت الماسونية الى مصر بعد ذلك من الغرب فى العصور الوسطى ، « حيث عهدت الحكومة المصرية فى عهد الخلفاء الى فئات منهم هندسة وبناء كثير من الجوامــع والقلاع والأسوار » وضرب مثالا على هذا بجامع احمد بن طولون فى القاهرة الذى عهد ببنائه الى جماعة من البنــائين النصــارى القادمين من أوربا(١٤) · ولكن اذا صح أن هؤلاء البنائين كانوا من

أوربا فليس من المؤكد انهم كانوا ماسونيين بالمعنى المعروف ٠ ولا توجد ادلة على ذلك ، ولا على قدم عهد الجمعيات الماسونية فى مصر ، ولا على صلتها بالجمعيات السرية القديمة ٠ والأمر كله محض تخمين واستنتاج من جانب زيدان الذى بدا متحمسا فى كتابه للماسونية ٠

تناول زيدان بعد ذلك الطور الرمزى فى الماسونية المصرية ، وهو الطور الحديث بوجه عام عند مؤرخيها الأوربيين ٠ وقال ان هذا الطور لم يظهر فى مصر « قبل سنة ١٧٩٨ أى اثناء الحملة الفرنساوية » على حد تعبيره(١٥) ٠ فقد اتفق بونابرت وكليبر وبعض قواد تلك الحملة وضباطها من الماسونيين الفرنسيين على تأسيس محفل فى القاهرة ، فأسسوه فى اغسطس من تلك السنة باسم « محفل ايزيس » على طريقة ممفيس ٠ « ولعلهم ـ كما يقول زيدان ـ قصدوا بذلك مقصدا سياسيا لأنهم ادخلوا فيه كثيرا من عمد البلاد ورجالها » ٠ ثم توقف نشاط المحفل بعد رحيل بونابرت ومصرع كليبر(١٦) ٠

ومضى زمن طويل قبل أن تتكرر المحاولة ٠ ففى سنة ١٨٣٠ اسس بعض الايطاليين فى الاسكندرية محفلا على الطريقة الاسكتلندية ٠ وتلاه محفل آخر فى القاهرة سنة ١٨٣٨ تحت رعاية المجلس العالى المفيسى الفرنسى ، واسمه مينيس ٠ وفى سنة ١٨٤٥ شهدت الاسكندرية تأسيس محفل تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسى اسمه « الأهرام » ، انضم اليه كثيرون من الأجانب والاهالى تحت سمع وبصر الحكومة ٠ وله الفضل الاعظم فى بث التعاليم الماسونية فى مصر كما يقول زيدان ٠ وأبرز أعضائه من غير الأوربيين الأمير حليم ابن محمد على والامير عبد القادر الجزائرى الذى قاد ثورة الجزائر ضد فرنسا عند غزوها لبلاده ثم فر الى مصر ، واقام

بعدها فى الشام · وقد اشتهر هذا المحفل ـ كما يقول زيدان ايضا ـ بالأعمال الخيرية ، وتزايد أعضاؤه حتى بلغوا ألفا بعد ١٥ سنة من تأسيسه · وفى سنة ١٨٤٩ أسس الايطاليون محفلا آخــــر على الطريقة الاسكتلندية فى الاسكندرية · وفى سنة ١٨٥٦ بعث المجلس العالى الممفيسى فى فرنسا مندوبا خاصا لانشاء مجلس عال اقليمى على طريقته ومايلزم ذلك من المحافل الفرعية · وفى الوقت ذاته أسس الايطاليون عددا من المحافل فى الاســـكندرية والقاهرة بين سنتى ١٨٥٩ ـ ١٨٦٢ · كما أسس الفرنسيون عددا آخر من المحافل التابعة للشـــرق الأعظم الفرنسى ، ولم يقتصروا على القاهرة والاسكندرية ، وانما مدوا نشاطهم الى بور ســـعيد والســـويس والاسماعيلية ·

وهكذا أصبحت المحافل فى مصر تتبع ثلاثة مجـــامع أوربية كبرى هى : المجلس العالى الايطالى والمجلس العالى الفرنســـى والشرق الأعظم الفرنسى · وفى سنة ١٨٦٧ بدأ الانجليز فى دخول الحلبة ، فأنشأ المحفل الأعظم الانجليزى فى القاهرة بضعة محافل ، ولكن أنصاره لم ينجحوا فى انشاء مجلس أعلى اسكتلندى للاشراف على هذه المحافل ، وكذلك لم ينجح بعض المتحمســـين الايطاليين والشوام من أصحاب الدرجات الماسونية العليا فى تأسيس مجلس أعلى مصرى أو شرق أعظم مصرى · ولكن حدث فى ٨ نوفمبر ١٨٧١ أن نجح أنصار الطريقة الاسكتلندية فى انشـــاء مجلس أعلـــى اسكتلندى · وفى ١٥ سبتمبر ١٨٧٢ اتحدت بعض المجالس وكونت مايسمى الشرق الأعظم الوطنى المصرى · « وهو الدولة الماسونية المصرية وتحته الطريقة الممفيسية (الفرنسية) والطريقة الاسكوتلاندية ولم تمض فترة وجيزة حتى أصبحت المحافل الوطنية المصرية تحت رعاية الشرق الأعظم المصرى عديدة »(١٧) وانتخب أعضـــاء هذا

الشرق أستاذا أعظم يدعى سوليتـــورى افنتورى زولا · ثم جددوا انتخابه فى ٢١ مارس ١٨٧٣ · وذهب الى الخديو اسماعيل يطلب حمايته للعشيرة ·

يقول زيدان :

« مثل بين يدى سموه فى ٢٩ ابريل سنة ١٨٧٣ بالنيابة عن الشرق الأعظم · وقدم واجب العبودية · واعرب عما لهذه العشيرة من المقاصد الحسنة ، وبين أنها فى احتياج كلى لحماية أمير البلاد ، فتعطف سموه اذ ذاك ، وصرح بالحماية مشترطا عليها أن لاتتعاطى أمرا مخالفا لصالح الأمة والدولة والوطن ، وأن لاتتداخل فى السياسة الا اذا دعيت أو دعى بعض أعضائها من أمير البلاد أو حكومته للمساعدة فيما يعود الى الصالح العام ، فعلى المدعو اذ ذاك أن يلبى الدعوة بما فى وسعه حالا · فتعهد الأستاذ الأعظم بالشرف أن الماسونية لاتسير الا كما اشترط سموه · وعلى ذلك تم التعاضد بين الحكومة المدنية والدولة الماسونية · وأصبحت القوتان يدا واحدة فى ترقية شأن الأمة ورفع منار الفضيلة »(١٨) ·

ولعلنا لاحظنا فيما اقتبسناه حتى الآن من زيدان أنه لم يكن محايدا فى تاريخه ، وأنه كان ماسونيا متحمسا وقت تأليفه لهذا التاريخ · ومع ذلك يمكن أن نلاحظ مما كتب أن الماسونية أنشأهـــا الأوربيون المستوطنون فى مصر ، وضموا اليها بعض المستوطنين الشاميين وبعض الأهالى المصريين ، كما نلاحظ أن المحافل جاملت الأمير حليم بالرياسة حتى طرده الخديو اسماعيل من مصر ســنة ١٨٦٨ ، ثم عهدت الى زولا بالرياسة من بعده حتى طـــرد بدوره وشطب اسمه من سجل الماسونية · وكان السبب فى ذلك ــ كما يقول حنا أبو راشد ــ أنه ذهب الى ايطاليا ، وهناك حمله رجال الفاتيكان

على التشهير بالماسونية(١٩) • ونلاحظ اخيرا أن المحافل حتى ذلك الوقت ـ منتصف سبعينات القرن ـ كانت ايطالية وفرنسية وأيرلندية واسكتلندية وأمريكية ، وأن الطريقتين الرئيسيتين لهذه المحافل كانتا المفيسية والاسكتلندية •

فى ٨ مايو ١٨٧٦ أصدر الشرق الأعظم الوطنى المصرى ، الذى تقاسمته هاتان الطريقتان ، قرارا بوضع حد لهذا الازدواج وتحديد طريقة واحدة « بحيث تكون وحدها دعامة الدولة الماسونية المصرية » على حد قول زيدان • ولما كانت الطريقة المفيسية الفرنسية الأصل تعد عند أقطاب الماسونية غير أصولية أو قانونية فقد استقر الرأى على الطريقة الاسكتلندية كدعامة للدولة الماسونية المصرية • واذا كان تعبير « الدولة » هنا ، الذى استخدمه زيــدان وغيره ، تعبيرا تضخيميا فلا يهمنا منه سوى معناه المجازى • وقد ترتب على انفراد الطريقة الاسكتلندية باهتمام الشرق الأعظم الوطنى المصرى أن صدر قرار منه بانشاء المحفل الأعظم الوطنى المصرى • ومن الطريف ان نلاحظ فى صيغة القرار الذى اورده زيدان أن زولا يتعامل مع الواقع كما لو كان على رأس دولة فعلية • فهو يسمى القرار « أمر عــــال نمرة ٧٧ » • ويبدؤه بعبارة « نحن زولا أستاذ أعظم الشرق الوطنى المصرى » ويؤكد فى المادة الثالثة من القرار على أن « الشرق الأعظم الوطنى المصرى هو الدولة الماسونية المصرية » ، أى أنه أعلى سلطة ماسونية فى البلاد • ومن الطريف أن نلاحظ أيضا فى موقعى القرار أن ثلاثتهم أوربيون (زولا ونائبه يوسف دى بورغارد ، والسكرتير الأعظم فرنسيس فردينان أودى ، وامين الختم الأعظم باندلى ديلبا روغلى) وانهم لايمكن أن يوحوا بأن ذلك الشــرق كان وطنيـــا أو مصريا • أما النص على « الوطنى » و « المصرى » فيبدو أنه كان لتحبيب الأهالى فى الماسونية •

وبعد أن تم انشاء المحفل الأعظم على هذا النحو تمت مكاتبة الدول الماسونية الأجنبية ـ كما يقول زيدان ـ وابلاغها بالقـــرار (أورد زيدان قائمة بنحو ٧٦ محفلا فى مختلف ارجاء العالم) وجاء رد هذه « الدول » الأجنبية بالمصادقة على القرار واعتماده ٠

يقول زيدان ايضا :

« وفى ٨ اكتوبر سنة ١٨٧٦ التأم المحفل الأعظم وكرس بحضور الموظفين والمندوبين من قبل المحافل العظمـى الأجنبيـــة ٠ وفى ٢ أغسطس من السنة التالية صدر الأمر العالى نمرة ١٢٦ بتأسيس محفلين عظميين اقليميين ، احدهما لمصر الوسطى ومركزه طنطا ، والآخر لمصر العليا ومركزه القاهرة ٠ وكلاهما تحت رئاسة الأخ المحترم ايكو مونوبولو بصفة أستاذ أعظم اقليمى ٠ أما مصـــر السفلى فكانت تحت المحفل الأعظم المصرى فى الاسكندرية ٠ وانشئت اثناء ذلك محافل واوقفت محافل »(٢٠) ٠

وحتى ذلك التاريخ كان المحفل الأعظم الوطنى المصرى هذا يمارس نشاطه من الاسكندرية ، ولكن تقرر فى جلسة ١٥ ســـبتمبر ١٨٧٧ نقل مركزه الى القاهرة ٠ وصدر الأمر العالى بذلك ولجتمع المحفل لأول مرة فى القاهرة فى ٥ مايو ١٨٧٨ فى قاعة محفـــل « الملراتونا » تحت رئاسة الأستاذ الأعظم الكلى الاحترام زولا » ومنذ ذلك التاريخ اصبحت القاهرة مركز نشاط « الدولة » الماسونية فى مصر ٠

أورد زيدان ـ فوق هذا كله ـ قائمة باسماء المحافل التابعـــة للمحفل الوطنى ٠ وتضم القائمة ٢٩ محفلا اصبح معظمها ـ حتى ذلك التاريخ ـ يعمل من القاهرة ، فضلا عما سماه «المحافل والمجامع الأجنبية » فى مصر ، وهذه بلغ عددها فى ذلك الوقت ٩ محافل تابعة للشرق الأعظم الفرنسى ، ٦ محافل تابعة للمحفل الأعظم المتحد

الانجليزى (اقدمها محفل زتلاند فى الاسكندرية الذى تأسس سنة ١٨٦٧) ، ٥ محافل تابعة للشرق الايطالى ، ٧ مجامع (Chapters)

(أى المحافل التى تشتغل بالدرجات الماسونية العليا) تتبع المحفل الأعظم الانجليزى(٢١) ومعنى هذا أن مجموع المحافل العاملة ـ غير المتعطلة ـ فى مصر حتى سنة ١٨٧٨ كان يبلغ ٥٦ محفلا ، وهو عدد كبير ـ بالطبع ـ اذا قيس بتعداد السكان فى ذلك الوقت الذى كان لايزيد على ٦٫٨١٣٫٩١٩ حسب احصاء ١٨٨٢ · ومن هذا العدد ٢٧ محفلا اجنبيا ، أى للاجانب الأوربيين وحدهم ، مقابل ٢٩ محفلا مصريا ، أى للاجانب المتمصرين والأهالى · وحتى اذا صــح أن المحافل المصرية كانت مصرية بالفعل فان عدد المحافل الاجنبية يكاد يساوى عددها ، ولا يتفق مع عدد الأجانب ·

ومن الواضح أن جرجى زيدان توقف فى تاريخه للماسونية فى مصر عند سنة ١٨٧٨ ، أى قبل صدور كتابه بنحو عشر سنوات، دون أن يوضح السر فى توقفه عند ذلك التاريخ · ولكنه اشار فى مقدمته للكتاب الى أنه استقى معظم معلوماته من زولا الذى اصبح وقتها « رئيس أعظم المحافل المصرية سابقا » ، وأنه لو ساعده المقام ـ على حد تعبيره ـ لأتى على تفاصيل كثيرة يعلمها ولكنه اضطر الى الاكتفاء بالنزر اليسير منها والاغضاء عن بعضها « لما يحول دون التصريح بها من المحظورات التى نرجو قرب زوالها يوم لايحظر على احد التصريح بما فى ضميره » على حد تعبيره(٢٢) · ولانريد أن نحمل اعتذاره هذا فوق ما يحتمل ، ولكننا نشم فيه نوعا من الحرج ازاء التصريح بكل ماعنده عن الماسونية فى مصر وسوريا كما قال واغلب الظن أن هذا الحرج مبعثه أن زيدان نفسه كان ماسونيا عاملا متحمسا حتى وقت تاليفه لهذا الكتاب · والماسونية ـ بحكم دستورها الأول الذى نقله فى كتابه ـ تلزم اعضاءها بكتمان أسرارها عمن

ليسوا منها . ومع ذلك لم يكتب زيدان بعدها عن الماسونية فى مجلته « الهلال » أو غيرها ، حتى وفاته سنة ١٩١٤ ، سوى بضعة أسطر فى كتابه « تاريخ مصر الحديث » . فقد قال فى هذا الكتاب ان المحافل الوطنية (الأهلية) تأسست فى عهد اسماعيل ، وان شأن الجمعية الماسونية فى مصر تعزز بحمايته ، فانتشرت مبادئها « حتى انتظم فى سلكها نجله المغفور له الخديو السابق (توفيق) وجماعة كبيرة من أمراء البلاد ووجهائها »(٢٣) واغلب الظن أيضا ان زيدان مات على ماسونيته التى تمنع التصريح بكل شىء .

بالرغم من الاجمال والاسقاط فى معلومات جرجى زيدان اللذين اعتذر عن اضطراره اليهما فقد ظل كتابه عمدة المراجع عن تاريخ تلك المرحلة من حياة الماسونية فى مصر . كما ظل نهبا لزملائه الصحفيين والكتاب الذين كانوا يرجعون اليه ، وينقلون عنه ، دون اعتراف بالفضل(٢٤) ومع ذلك حاول بعض الباحثين والمستشرقين المعاصرين أن يعودوا الى تلك المرحلة ، وأن يراجعوا ظروف نشأة الماسونية . ومن هؤلاء الباحث الاسرائيلى يعقوب لاندو والباحثة الايرانية هوما باكدامان اللذين قاما بجهد مكثف فى هذا الميدان .

يقول لاندو :

« فى سنة ١٨٠٢ تأسس محفل بالاسكندرية ، ثم تلاه آخر بعد اربع سنوات . وكان الاثنان تحت رعاية محفل الشرق الأعظم الفرنسى . ولكن نشاطهما مالبث أن توقف . ثم نسمع فيما بعد عن تأسيس محفلين فرنسيين آخرين ، أحدهما فى القاهرة سنة ١٨١١ ، والآخر فى الاسكندرية سنة ١٨١٢ . ومع ذلك لم يستمرا طويلا شأن محفل ثالث تأسس سنة ١٨١٥ »(٢٥) .

ويستمر لاندو فى روايته فيضيف أن بعض الماسونيين الايطاليين رحلوا من ايطاليا عقب فشل الثورة هناك سنة ١٨٣٠ ثم جاءوا الى الاسكندرية ، فاسسوا محفلا معتمدا من الطريقة الاسكوتلاندية فى تلك السنة · وفى سنة ١٨٣٨ اسسوا محفلا آخر بالقاهرة · وتم هذا كله فى سرية تامة خوفا من ملاحقة السلطات المحلية · ثم أعاد الماسونيون الفرنسيون تنظيم صفوفهم فى عهد محمد على فأسسوا محفلا محليا فى الاسكندرية سنة ١٨٤٥ ضم بعض كبراء المسلمين مثل الأمير عبد القادر الجزائرى والأمير حليم · وفى سنة ١٨٦٠ بلغ عدد أعضاء المحافل الفرنسية فى الاسكندرية ألف عضو · كما أعاد الايطاليون تنظيم صفوفهم أيضا ١٨٤٩ ، ونشروا كثيرا من الكتيبات والمنشورات للدعاية للماسونية بلغتهم · ولكن يبدو أن الفرنسيين تفوقوا على الايطاليين فى ذلك · ففى سنة ١٨٥٦ ارسلوا الى مصر وفدا خاصا لتأسيس محفل فى الاسكندرية وسرعان ماانتشروا ـ مع الايطاليين ـ المحافل خارج القاهرة والاسكندرية ، ولاسيما فى بورسعيد والسويس والاسماعيلية والمنصورة(٢٦) ·

واذا كان لاندو قد سد ـ كما رأينا ـ الفجوة الزمنية التى جاءت فى رواية زيدان ، من ١٧٩٨ الى ١٨٣٠ ، فلم يضف الكثير بعد ذلك الى ما سبق أن عرضناه من رواية زيدان · ولكنه يستمر فى روايته فيقول ان الفرنسيين أسسوا محفلا جديدا فى الاسكندرية باسم « نهضة اليونان » سنة ١٨٦٣ ، وهى السنة التى تولى فيها الخديو اسماعيل الحكم · وفى السنة التالية انشأ الايطاليون محفلا آخر بالاسكندرية أيضا باسم « اتحاد الشعب » وفتحوا باب عضويته للاهالى · ويبدو أن بعض الجمعيات الايطالية السرية تنكرت فى ذلك الوقت ـ كما يقول ـ وراء المحافل الماسونية · ومع ذلك تأسس محفل ألمانى بالقاهرة سنة ١٨٦٦ ومحفل آخر انجليزى فى السنة التالية : نشط فيه رالف بورج نائب القنصل الذى اختار بعض أعضائه من

الأهالى . » وسرعان ما وقع اختيار الماسون الفرنسيين من أتباع محفل ممفيس على الأمير حليم فجعلوه أستاذا أعظم لهم » وخلال السنوات ١٨٧٢ ـ ١٨٧٨ اندمجت معظم المحافل الفرنسية فى محفل الشرق المصرى الكبير بالقاهرة ، مما جعل الماسون قوة يحسب لها حسابها ، حتى فكر الخديو اسماعيل فى استقطابهم عن طريق اظهار الاهتمام بهم ، ومد يد الحماية اليهم(٢٧) .

مرة أخرى لايقدم لاندو أكثر مما قدمه زيدان من قبل ، باستثناء اشارته الى المحفل الألمانى الذى لم يرد له ذكر عند زيدان . وقد جاء ذكر محفل « نهضة اليونان » مختلفا عما جاء عند الأخير الذى نكره باسم « محفل اليونان » وذكر أن مقره القاهرة ، وأن تأسيسه تم عام ١٨٦٦ ، ولكنه تعطل(٢٨) . أما محفل « اتحاد الشعب » الايطالى فلم يرد ذكره عند زيدان تحت هذا الاسم ، وربما كان له اسم أخر من الأسماء الخمسة للمحافل الايطالية التى أوردها (الكوكب الاسكندرى ، نوفا بومبيا ، الشنشناتو ، السلام ، نور الشرق(٢٩) .

وقد استخلص لاندو هذه المعلومات والتواريخ ـ كما يقول ـ من وثائق ورسائل ومنشورات ايطالية وفرنسية عديدة . ومع ذلك فهى لاتضيف الكثير كما قلنا لما رواه جرجى زيدان ، الا فيما يتعلق بالنصف الأول من القرن الماضى . ومع ذلك أيضا فهذه الاضافة تنكرها هوما باكدامان التى تعتقد أن الماسونية لم تدخل مصر قبل سنة ١٨٤٨ . فقد رجعت الى محفوظات المحافل الفرنسية فى باريس ، ووجدت أن أول محفل أنشىء فى مصر هو محفل « الاهرام » الذى تاسس فى الاسكندرية فى ١٦ ابريل ١٨٤٨ ، ثم توقف عن نشاطه بعد فترة قصيرة . ولكنه استانف النشاط سنة ١٨٦٢ .

تضيف باكدامان أن ستينات القرن الماضى شهدت انشاء

محفلين آخرين تحت رعاية « الشرق الأعظم الفرنسى » ، همـا محفل « نهضة اليونان » الذى تأسس فى الاسكندرية فى ٩ نوفمبر ١٨٦٣ ومحفل « النيل » الذى تمت الموافقة على دستوره الرمزى فى ٢٢ مارس ١٨٦٨ · ومع ذلك لم يتأسس ــ فى رأيها ــ أى محفل أهلى مصرى قبل سنة ١٨٧٥ ، على الرغم من أن محفل « الأهرام » طلب من محفل الشرق الأعظم الفرنسى فى ٢٠ فبراير من ذلك العام انشاء محفل فى مصر تكون لغته العربية ، بدعوى أن جميع المحافل تستخدم لغات أجنبية ، وأن الأهالى لايستفيدون من هذه المحافل · ومن ثمة تأسس محفل « نور مصر » تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسى · كما تأسس فى الاسكندرية أيضا محفل فى غاية من الأهمية هو « الشرق الأعظم المصرى » الذى اندمجت فيه المحافل الاخرى الأصغر · واختير الأمير حليم أستاذا أعظم لهذا المحفل الكبير(٣٠)

ومع ذلك فهذه الرواية مهمة ، من حيث أنها تضـيف بعض التفصيلات حول نشأة المحافل التابعة لفرنسا · ولكنها لا تدحض احتمال ان يكون بونابرت وضباطه أسسوا محفلهم ــ ان صح أنهم أسسوه ــ بمعزل عن المحفل الأعظم فى بلادهم ، فضلا عن أنها تتعلق بالمحافل الفرنسية وحدها ، ولاتتصل بالمحافل الأخرى ، ولا سـيما الايطالية التى قد تكون أسبق من زميلاتها · وبذلك يظل اجتهاد لاندو صحيحا · ويسنده ، من جهة أخرى ، أن الجالية الايطالية فى مصر ــ فى الاسكندرية بصفة خاصة ــ كانت أكبر الجاليات الأوربية طوال عهد محمد على ، على الرغم من أن الأخير كان أميل الى الفرنسيين · ومع أن الرواية المشهورة حول دخول الماسونية مصر زمن الحملـة الفرنسية لاتستند الى أى دليل مادى موثوق فيه فهى تظـل محض اجتهاد أيضا ، ربما يسنده أن ضباط بونابرت وجنوده أسسوا محافل ماسونية فى المانيا عندما فتحوها سنة ١٨٠٦ ·

غير أن لاندو وباكداماان لم يذكرا شيئا عن ذلك الرجل الذى يبدو أنه لعب دورا خطيرا فى المحافل الماسونية فى تلك المرحلة ، وهو سوليتيرى زولا الذى ذكره زيدان ، وانتفع بما عنده من مـــادة عن المرحلة · فهذا الرجل الذى لاندرى ملته أو جنسيته لم يذكره بعد ذلك سوى شاهين مكاريوس فى أوائل القرن العشرين · ومع أن مكاريوس الماسونى الأكثر تحمسا من زيدان ، وقع فى بعض الأخطاء الخاصة بالتواريخ التى ذكرها زيدان ، مثل دخول الماســونية مصـــر فى أغسطس سنة ١٧٩٧ وصوابها ١٧٩٨ ، فقد ذكر أن المحفل الأعظم الوطنى المصرى تأسس سنة ١٨٧٦ « بعد حدوث انقلابات كثيرة » على حد قوله دون توضيح ، وأن أول رئيس له كان رجلا ايطاليا ـ هكذا ـ يدعى سولتورى أفنتورى زولا · ثم قال مكاريوس ان ذلك الرجل « فصل فيما بعد ومحى اسمه من سجل المحفل الأكبر لدواع اقتضت ذلك » دون توضيح أيضا(٣١) · ثم ترأس المحفل بعده رجل آخر (ربما يكون يونانيا) اسمه ديونيس أيكونوموبولو سنة ١٨٧٧ · واذا كان زولا المذكور قد ترقى فى سلم الماسونية حتى وصل الى درجة « أستاذ أعظم » ـ كما رأينا ـ ثم أخنى عليه الدهر ، فعزل ، ومحى اسمه من سجل المحفل لدواع اقتضت ذلك ، فلابد أن تكون هذه الدواعى شديدة الأهمية والخطورة · ولكن مكاريوس لم يفصل ما قال ، ومات على ماسونيته دون أن يصرح بشىء ·

ومن الوقائع والمعلومات السابقة يبدو الغرض السياسى فى دخول الماسونية مصر واضحا ، سواء دخلتها على أيدى بونابرت وضباطه أو دخلتها فى عهد الخديو اسماعيل · كما يبدو الطابع الأوربى فى دخولها واضـــحا أيضا · فباستثناء الأميرين حليم وعبد القادر لم تحفظ لنا السجلات الأولى لأعضاء المحافل الماسونية

سوى أسماء الأوربيين ، ايطاليين وفرنسيين ويونانيين ، كما يتضح من الأسماء التي ترددت هنا حتى الآن[٣٢] ٠

غير أن هذه المرحلة ، مرحلة التأسيس ، حفلت ـ فيما يبدو ـ بالكثير من النشاط والتطورات ، بالرغم من بعض الغموض الذى يحيط بتفاصيلها ٠ واذا كانت الماسونية قد دخلت مصر على أيدى الأوربيين النازحين من مختلف الأجناس والجنسيات فقد بدأت فى استقطاب الأهالى وتشجيعهم على الانضمام اليها فى عهد اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) بصفة خاصـــة ، وربما لعب الأميران حليم وعبد القادر دورا فى هذا الاستقطاب ٠

يقول لاندو :

« يجوز القول بوجه عام أن الماسونية التى أدخلها الأوربيون الى مصر ظلت مخلصة لمبادىء البر والاحسان والأخوة ٠ وعلى العكس من ذلك تمثلت أسوأ أفعالها فى بعض (لا كل) المحافل الايطالية التى استغلت الماسونية فى اخفاء نشاطها الهدام ٠ ففى السنوات ١٨٦٨ ـ ١٨٧٠ على سبيل المثال توجد بعض التقارير المخطوطة البالغة الطرافة للممثلين السياسيين والقنصليين فى مصر ، وتصور هذه التقارير المحافل الماسونية فى صورة خلايا النحل التى تعج بالعناصر الهدامة سياسيا وجنائيا ٠ فمن الناحية السياسية تتآمر هذه العناصر على البيت المالك فى ايطاليا ٠ ومن الناحية الجنائية تمارس الاجرام فى المدن المصرية ، بالقتل وغيره ٠ ثم تجد من محافلها الماسونية الحماية والمأوى والعون »[٣٣] ٠

وخلال السنوات ١٨٧١ ـ ١٨٧٩ كانت جميع النشـــرات الماسونية فى مصر تصدر بالايطالية ، كما يقول لاندو[٣٤] ٠ وكانت الاسكندرية مركز الماسونية فى مصر ، ومع ذلك لم يكن ثمة مفر من

ان يستخدم بعض المصريين المحافل فى تحقيق أغراضهم خلال عهد اسماعيل الذى كان فترة اختمار للحركة الوطنية بجميع تياراتها ٠ وكانت الظروف التى وضع فيها اسماعيل البلاد تشجع البحث عن مختلف الوسائل لعلاج أحوال الاقتصاد المتردى والديون المتزايدة والاستبداد المطلق ، وكان النموذج الايطالى من الماسونية مطروحا فى سوق الحركة الوطنية الوليدة ، بكل مافيه من شراسة ومؤامرات ويبدو انه كان نموذجا مفضلا ٠ فقد تحمس لممارساته السياسية كثيرون من الوطنيين بمختلف فئاتهم ، ولاسيما الذين انضموا منهم للمحافل الماسونية ، ايطالية أو فرنسية أو انجليزية أو مصرية ٠

كان على رأس هؤلاء جميعا شخصيتان لعبتا دورا خطيرا فى تطورات الأحداث فى أواخر عهد اسماعيل ، وهما الأمير عبد الحليم (١٨٢٦ ـ ١٨٩٤) المشهور باسم حليم وجمال الدين الأفغانى (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧) وكان للاثنين تلاميذ ومريدون واتباع ، أو كان لهما ـ بتعبير ذلك العصر ـ حزبان متعارضان فى الكثير ، ومتفقان على شىء واحد هو ضرورة التخلص من اسماعيل ٠

اما حليم فكان الوريث الوحيد للعرش حسب نظام الوراثة القديم الذى نجح اسماعيل فى تغييره سنة ١٨٦٦ ، فجعل ولاية العهد لأكبر ابنائه مقابل اكبر ابناء الأسرة العلوية حسب النظام القديم فى عهد محمد على ٠ وبذلك حرم حليم من عرش مصر بالرغم من انه كان اكبر من اسماعيل بشـــهرين فقط ٠ وقد تلقى تعليمه فى فرنسا بكلية سان سير العسكرية ، وعاد الى مصر سنة ١٨٤٥ فارتبط بالماسونية ، وانشأ علاقات طيبة مع افراد الأســـرة الخديوية والأعيان والمثقفين والفرنسيين ٠ واختاره الماسونيون أستاذا اكبر لهم فى محفل الشرق الأكبر المصـــرى سنة ١٨٦٧ ، برغم محاولات اسماعيل لاقصائه عن طريق أعوانه الماســـونين الايطاليين ٠ وعلى اثر انتخابه أستاذا اكبر بدأ وأعوانه فى التآمر

على اسماعيل • ثم اتهمه اسماعيل بمحاولة اغتياله سنة ١٨٦٨ على أيدى بعض الايطاليين الماسونيين • واتخذ ذلك ذريعة لطرده من مصر فابعده فى نهاية ذلك العام • وذهب حليم الى الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية فعاش هناك بقية حياته • ولكن صلته بالأحداث فى مصر لم تنقطع • فقد ظل أعوانه الماسونيون يتحركون، ولاسيما بعد تاكيد السلطان ولاية أبناء اسماعيل بفرمان سنة ١٨٧٣ •

وفى ١٨٦٩ نسب اليه اسماعيل مؤامرة فاشلة على حياته • وفى ١٨٧٦ شكا منه للقنصل الايطالى بسبب استغلاله أعوانه الماسونيين فى مؤامرات ضده • وفى ١٨٧٩ خفض معاشه الي الربع بمقتضى قانون التصفية للديون • وكان حليم ركز نشاطه من خلال الجمعيات السرية الايطالية ابتداء من سنة ١٨٧٧(٢٥) • ولما سقط اسماعيل فى النهاية سنة ١٨٧٩ حاول حليم الاتصال بالعرابيين والتعاون معهم على اسقاط توفيق ، ولكن الاحتلال الانجليزى قضى على هذه المحاولة سنة ١٨٨٢ • ومع ذلك ظل شبح حليم يهدد توفيق من بعيد حتى وفاة الأخير سنة ١٨٩٢ •

كان أعوان حليم من الماسونيين فى مصر ايطاليين وفرنسيين ويهودا فى معظمهم ، وكان من بين أنصاره يعقوب صنوع الذى ظل يؤيده فى صحفه العربية فى باريس حتى وفاته ، وكذلك حسن موسى العقاد أحد كبار تجار القاهرة الذى نفى عقب فشل الثورة العرابية ، فضلا عن بعض الكتاب والصحفيين الآخرين الذين كانوا يتراوحون بينه وبين توفيق مثل أديب اسحق وسليم النقاش ، بالاضافة الى عدد غير معروف من ضباط الجيش ممن اشتركوا بعد ذلك فى الثورة العرابية •

وأما الأفغانى الذى طاب له المقام فى مصر ابتداء من ١٨٧١ الى ١٨٧٩ فكان اقرب وأميل الى توفيق ، ولاسيما بعد أن اتفق معه قبل توليه الحكم على اصلاح حال البلاد والحكم بالدستور والبرلمان. ومع أن الأفغانى قضى سنواته الأولى فى تعليم الشباب ، وجمع حلقة واسعة من التلاميذ والمريدين على اختلاف انتماءاتهم وعقائدهم فسرعان ما نزل الى ميدان السياسة التى شغلت الجميع وقتذاك . وشجع على اصدار الصحف ودخول الماسونية . ثم دخل بنفسه الماسونية ، وأدخل معه معظم تلاميذه . ولكننا لا ندرى على وجه الدقة هل دخلها قبل ١٨٧٥ أم لا . ولكن دخوله الماسونية لم يكن « لأنه رأى فيها امتدادا حديثا لحركات التطرف الاسلامية القديمة التى اجتذبته بشكل واضح » كما يقول المستشرق ايلى كدورى(٣٦) ، وانما لأنه رأى فيها وسيلة للاصلاح والتغيير ، مثلها مثل الصحافة والخطابة اللتين ارتبط بهما وقت دخوله الماسونية ، ولاسيما بعد تفاقم التدخل الأوربى وسوء أحوال البلاد . ويبدو أنه أعجب بشعار الماسونية الذى رفعته فى ذلك الوقت فى « الحرية والاخاء والمساواة » ، وهو ذاته شعار الثورة الفرنسية الذى روجته المحافل التابعة لفرنسا فى مصر .

لقد كشفت أوراق الأفغانى الخاصة التى نشرتها جامعة طهران سنة ١٩٦٣ عن بعض المعلومات المهمة الجديدة فى هذا الموضوع . ومنها ورقة سجل فيها الأفغانى مسودة طلب التحاق بأحد المحافل وعليها تاريخ « يوم الخميس ٢٢ ربيع الثانى ١٣٩٢ » (الموافق ٣١ مارس ١٨٧٥) وفيها كتب بخطه الفارسى الجميل :

« يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلى الذى مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة بأنى أرجو من اخوان الصفاء ، واستدعى من خلان الوفاء ، أعنى أرباب المجمع المقدس الماسون الذى

هو عن الخلل والزلل مصون ، أن يمنوا على ويتفضلوا الى بقبولى فى ذلك المجمع المطهر ، وبادخالى فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر » ٠

ولكم الفضل

جمال الدين الكابلى(٣٧)

لم يحدد الأفغانى اسم المحفل الذى عناه فى طلبه ، وان كانت الباحثة هوما باكدامان تستنتج من لغة الطلب أنه المحفل التابع لفرنسا على أساس أن أول محفل أهلى استخدم العربية كان تابعا لفرنسا وافتتح قبل ذلك التاريخ بقليل(٣٨) ٠

ومن الملاحظ فى هذا الطلب أن الأفغانى عرف نفسه بأنه « مدرس العلوم الفلسفية » ونسب نفسه الى كابول عاصمة أفغانستان أما اشارته الى « اخوان الصفاء » فيبدو أنها هى التى أوحت لكدورى بملاحظته السابقة ، فى حين أنها جاءت فى الغالب بقصد اكمال السجع الذى سيطر على صيغة الطلب ، وربما للاشارة الى اسم « الاخوان » الذى كان الماسونيون يحرصون على استخدامه ـ ومازالوا ـ عند الحديث عن جماعتهم ٠

هناك ورقة أخرى ضمتها أوراق الأفغانى الخاصة سجل عليها عبارة :

« دخلت المحفل فى ١٠ عاشوراء ١٢٩٣ (الموافق ٦ فبراير ١٨٧٦) أثناء اقامتى بمصر »(٣٩) ٠

وللمرة الثانية لم يحدد الأفغانى اسم المحفل ولا نوعه ، وان كانت العبارة تشير الى أنها جواب طلب التحاقه السابق ٠ ومعنى هذا أنه قضى نحو عام فى انتظار قبول عضويته ٠

هناك أيضا ١١ خطاب دعوة لحضور اجتماعات لمحافل

انجليزية وفرنسية وايطالية ويونانية فى الفترة من ٢٤ يناير ١٨٧٧ الى ٢٣ فبراير ١٨٧٩(٤٠) ويتبين من هذه الدعوات أن عدد المحافل التى شهدتها القاهرة فى تلك الفترة بلغ ٩ محافل • كما يتبين ان الأفغانى اختير رئيسا لمحفل « كوكب الشرق » التابع للمحفل الأكبر الاسكتلندى فى ٢٨ ديسمبر ١٨٧٧ ، وانه أصبح - بسرعة - شخصية مرموقة فى هذه المحافل ، يدعى لحضور جلساتها غير العادية أو لشهود الاحتفال بدخول أعضاء جدد • وربما كان مسموحا بتعدد العضوية فى بعض هذه المحافل •

ويهمنا من هذه الخطابات خطاب معين صادر من محفل كوكب الشرق فى القاهرة بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨ وهذا نصه بعربيته الركيكة :

« الى الأخ جمال الدين محترم

انه لمعلوم لديكم بان فى جلسة ٢٨ الماضى وباغلبية الآراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام • ولذا قد نهنيكم ونهنى ذواتنا على هذا الحظ العظيم • وعن امر الرئيس محترم الحالى أدعو اخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجارى الساعة ٢ عربى بعد الغروب الى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادى • ثم سيصير يوم الخميس ١٠ الجارى الساعة ٦ افرنكى مساء تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه • فالرجا حضوركم فى اليوم المذكور للاشتراك فى الأشغال • وفى الحالتين ملابسكم تكون سوداء ورباط الرقبة والكفوف بيضاء • واقبلوا منا العناق الأخوى ••• »

كاتب السر

نقولا سكروج

بالرغم من ركاكة هذا الخطاب(٤١) فهو من الوثائق النادرة للماسونية فى ذلك العصر · ولا ندرى شيئا عن أصل موقعه ، فربما كان ايطاليا او يونانيا ، ولكننا ندرى من الخطاب ـ فضلا عن ركاكته ـ انه وضع تحت اسم « لوج كوكب الشرق » فى أعلاه رقما هو ١٣٥٥ ، ولعله رقم المحفل فى التسلسل الذى يتبعه ، وكان راعيه المحفل الأكبر الاسكتلندى · وندرى ايضا أن التاريخ الذى يعلو الخطاب استخدم ـ فضلا عن كلمة « لوج » الفرنسية بمعنى « محفل » ـ كلمة « جنايو » الايطالية بمعنى « يناير » ، والتاريخ الماسونى (٥٨٧٨) تحت التاريخ الميلادى ، فضلا عن استخدام الرمز .·. فى آخر الخطاب ، وهو من رموز الماسونية وعلاماتها المشهورة ·

وفى تلك الفترة التى انهمك فيها الأفغانى فى نشاطه الماسونى خطرت له ذات يوم فكرة اغتيال الخديو اسماعيل كحل للتخلص من استبداده واسرافه وبؤس حال العباد · فقد روى محمد عبده للمستشرق المؤرخ الانجليزى ويلفرد بلنت ان الأفغانى اقترح فكرة ضرورة اغتيال الخديو اثناء مروره اليومى بعربته على جسر قصر النيل ، وأنه ـ أى عبده ـ وافقه عليها بحرارة ، وان كان الأمر لم يتجاوز الحديث الخاص بينهما كما قال عبده(٤٢) ·

ذكر محمد عبده لبلنت ايضا ان الضابط لطيف سليم المدرس بالمدرسة الحربية الذى اعتقل بسبب مظاهرة الضباط ضد وزارة « نوبار » الأوربية فى فبراير ١٨٧٩ لم يفرج عنه الا بعد تدخل الماسونيين وتوسطهم لاطلاق سراحه · وكان سليم ماسونيا ومن مريدى الأفغانى واعضاء محفله(٤٣) · واذا كانت هذه الواقعة هى الوحيدة المسجلة حول نفوذ الماسونية فلاشك ان هناك وقائع اخرى لم يسجلها أحد ·

ولم يكن الأفغانى وحده متحمسا للماسونية ونشاطها · فقد شاركه تلاميذه ، ولاسيما من محررى الصحف · فقد درجت صحيفتا « مصر » و « التجارة » اللتان كان يحررهما أديب اسحق على متابعة اخبار رائدهما وزعيمهما · ومن ذلك ما نشرته « التجارة » فى ٢١ يناير ١٨٧٩ · فقد وصفت احدى الحفلات الماسونية التى خطب فيها الأفغانى بصفته رئيسا للمحفل فقالت عن الحفل :

« انتظم على مائدتها نيف ومائة قائل بالحرية والاخاء والمساواة ، معظمهم من وجوه الوطن ونبهائه · وفيهم فئة كبيرة من ذوى المقامات والعلماء من المسلمين وغير المسلمين · فقام فيهم الرئيس المحترم خطيبا ، يبين ماهية ذلك الاجتماع ومقاصد الماسونية وصفق الحاضرون ونادوا بأعلى الصوت : فلتحيا الحرية والمساواة والاخاء · ثم توالت الخطب للسعى فيما يوجب سعادة النوع الانسانى ، وينقذه من ربقة الذل والعبودية · وتحالفت القلوب على الانتصار للحق والانسانية ، وألا يخافوا فيها أحدا »(٤٤) ·

وقد استمرت صحافة الأفغانى ـ اذا صحت التسمية ـ فى هذه الحماسة للماسونية حتى اعتقاله وترحيله الى الهند · وقوى هذه الحماسة انه اقدم قبل ايام من خلع اسماعيل على تصرف جرىء اثار انقساما بين الماسونيين وانشب معركة حامية بينهم · فقد ذهب بنفسه ومعه سليم نقاش (مدير جريدتى مصر والتجارة) كمترجم الى دار القنصلية الفرنسية ، وطلب مقابلة القنصل (مسيو تريكو) فلما اذن له بالمقابلة دار حوار بينهما حول الأوضاع المتردية وضرورة تدخل فرنسا من أجل تنازل اسماعيل لابنه توفيق · وطمأنه القنصل وطالبه بالصبر لأن « التنازل صار أمرا مقررا وشيك الحصول » ، والتزام الهدوء لأن القلاقل قد تعود بالضرر على ولى العهد · ولكن المشكلة بدأت عندما نشرت « مصر » الموضوع فى ٢٧ يونيو ١٨٧٩ ـ بعد تنازل الخديو بالفعل · فقد استهل الأفغانى

حديثه مع القنصل بقوله : « لقد أتيت بالأصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن الحزب الماسونى والحزب الوطنى الحر المنتشر فى جميع أنحاء القطر المصرى »(٤٥) ٠

فى أعقاب نشر موضوع هذه المقابلة الجريئة نشرت صحيفة « الوقت » احتجاجا من خمسة أعضاء فى « محفل كوكب الشرق » او « الكوكب الشرقى » ـ كما ذكرت الصحيفة ـ على اقحام الأفغانى الماسونية فى الموضوع ومخالفته قوانينها التى تمنع التدخل فى المسائل السياسية والدينية ٠ وكتبت « التجارة » فى ١٠ يوليو ١٨٧٩ ردا بعنوان « الجمعية الماسونية فى الشرق » بامضاء « أديب » (أديب اسحق) ذكرت فيه أن الماسونية « مامورة بخدمة الانسانية كيفما كانت الطرق الموصلة اليها » واشارت الى ما يحدث فى الماسونية الأوربية من تدخل فى السياسة ، وفضل أن يحاكم ذلك « العضو الجليل » ، أى الأفغانى ، « فى المحفل الرئاسى بدلا من هتك حرمة الماسونية لدى الرأى العمومى »(٤٦) ٠

واعلنت « التجارة » فى ١٥ يوليو ١٨٧٩ انه تقرر فى « محفل كوكب الشرق السنى الماسونى فى جلسة مساء الجمعة الماضى ان يخطأ الأعضاء الخمسة فى ما تهافتوا على نشره فى جريدة الوقت مما خرجوا به عن حد الصواب والحق وخالفوا القوانين الماسونية »(٤٧) ثم نشرت فى ٥ أغسطس ١٨٧٩ رسالة للأفغانى يعقب فيها على ماخاضت فيه الصحف حول ذهابه الى القنصل الفرنسي وقال : « إن المصريين عموما والحزب الحر خصوصا الذى من ضمنه جماعة الماسون من أبناء الوطن قد كانوا غير راضين عن هيئة حكومتهم السابقة ٠ وكانت جميع أمانيهم حصر الخلافة الخديوية فى سمو ولى العهد على ولائه ٠ ولأجل ايضاح هذه الأمانى التى من شأنها أن تولى الشرف لكل وطنى حقيقى قد كلفت بالذهاب الى سعادة الجنرال المشار اليه »(٤٨) ٠

كانت هذه الكلمة آخر ما نشره الأفغانى بالصحف المصرية • فقد طرد بعد اقل من ثلاثة اسابيع • وقبل أن يعتقل بيومين نشرت « التجارة » فى ٢٢ اغسطس ١٨٧٩ خبرا مؤداه أنه « وفد على الجناب المعظم (الخديو) وفد من رؤساء الماسون التابعين لشرق مصر الكبير • وخطب أحدهم بين يدى جنابه الكريم »[٤٩] • وكان هؤلاء من أنصار الأمير حليم بالطبع ، ولكنهم ماذهبوا ليهنئوا الخديو على توليه الخديوية ، فقد فات أوان التهنئة ، وانما ليتبرأوا امامه فى الغالب من تصرف الأفغانى واقحامه الماسونية فى السياسة وتحدثه بلسانها • واذا ربطنا بين هذا كله وبين طرد الأفغانى فمن الممكن القول أن تصرفه الجرىء ساهم بنصيب كبير فى طرده وعجل به •

وبعد طرد الأفغانى من مصر تشتت « اخوانه » الماسونيون ، ولم يبق سوى اخوان حليم الذين كان من المحتم عليهم أن يبادروا بالمصالحة مع النظام الجديد ، والا تعرضوا لما تعرض له خصمهم • ومن الواضح أن هؤلاء نجحوا فى مبادرتهم كما يتبين من رسالة الأفغانى الى صديقه رئيس الوزراء مصطفى رياض فى أواخر ١٨٨٢ • فقد كشف فى هذه الرسالة عن الصراع العنيف بين أنصاره الماسونيين وانصار حليم عقب زيارته للقنصل الفرنسى • وارجع سبب تلك الزيارة الى زيارة أخرى سابقة قام بها الماسونيون « من الافرنج واذيالهم » الى القنصل نفسه • وفيها « بلغوه أن صغو (ميل) المصريين مع عبد الحليم باشا وضلعهم معه ، وروعوه من وقوع الفتنة ان عدل عنه الى غيره » • ويستطرد الأفغانى بقوله : « ولما بلغت هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديو (توفيق) من حزبى الى القنصل فكذبت ما بلغوه ، واظهرت له جلية الأمر ، وكشفت القناع عما أضمروه • وقد أعلن كل هذا فى الجرائد الوطنية »[٥٠] •

ومعنى هذا فى النهاية أن الماسونيين انقسموا فى أواخر عهد اسماعيل الى فئتين : فئة تسعى الى احلال الأمير حليم محل اسماعيل ، ومعظم هذه الفئة من الأجانب ، وفئة اخرى تسعى الى احلال توفيق ، ومعظمها من الأهالى تحت قيادة الأفغانى · وبالرغم من انتصار الفئة الأخيرة بفعل عوامل اخرى اقوى منها ، أهمها ميل الدول الأوربية والدائنين الى توفيق ، فقد ذهب الأفغانى نفسه ضحية المناورات والدسائس بين الفئتين · وكان طرده خاتمة للصراع والنشاط الدائب بين صفوف الماسونية فى تلك المرحلة ··

لقد اشار الأفغانى بعد سنوات عديدة الى سر خلافه مع الماسونية فى القاهرة خلال تلك المرحلة بوجه عام ، حين صرح لتلميذه محمد المخزومى فى الآستانة بأنه « اكتشف ان الجبن يمكنه أن يدخل بين اسطوانتى المحافل الماسونية » ، وأن شعارات الماسونية استدرجته وجعلته ينضوى تحتها فاذا به يجدها مفعمة بالأنانية وحب الرياسة والأعمال التى تقودها الأهواء · وحذر فى الوقت نفسه من ان الماسونية « ستختنق فى المهد » ان لم تصلح حالها وتعود الى أصولها الصحيحة التى شوقته للعمل تحت لوائها ، مثل الحرية والاخاء والمساواة والسعى وراء دك صروح الظلم وتشييد معالم العدل المطلق على حد تعبيره(٥١) ·

وعلى الرغم من هدوء نشاط الماسونيين فى مصر بعد طرد الأفغانى وتشتت تلاميذه حتى دخول الانجليز فى يوليو ١٨٨٢ فمن المنطقى ان يمضوا فى تأييدهم لتوفيق والمصالح الأوربية ، نظرا لأن

اغلبيتهم كانت من الأوربيين ، وان ينفصـــل الأهالى الذين كانوا يشكلون اقليتهم على اثر طرد الأفغانى انتظارا لوضوح الموقف • فلما تردت الأوضاع فى الجيش سنة ١٨٨١ ، وسيطر عرابى ورفاقه على الموقف ، كان من الطبيعى أن ينضم القســم الأكبر من هذه الأقلية الى العرابيين ، وهذا ما حدث لتلاميذ الأفغانى ابتداء من محمد عبده الى سعد زغلول • وكان من الطبيعى ايضا ان تؤثر الأغلبية الماسونية الأجنبية الصمت ، أو مراقبة الموقف فى صمت ظاهرى على الأقل ، ولكن هذا لايمنع احتمال حدوث اتصالات بين العرابيين والماسونيين من انصار حليم • وفى كلتا الحالتين أنتهت المرحلة كلها بغزو الانجليز •

الفصل الثانى

مرحلة الاستقرار

فى ٢٠ مارس ١٩٠٣ روى المستشرق الانجليزى ويلفرد بلنت ان الشيخ محمد عبده قال له :

« حدثت محاولة لادخال الماســونية مصــر فى اواخر ايام اسماعيل باشا • وكانت جميع المحافل مرتبطة بالمحافل الأوربية • وقد انضم الشيخ جمال الدين الى احدها ، ولكنه سرعان ما اكتشف عدم جدواها فانسحب منها • وكان اسماعيل يشجعها حين بدأت متاعبه كى تخدم اهدافه • ولكن الماسونية لم تكن لها قوة فى مصر على الاطلاق »((٥٢) •

ويبدو ان بلنت لم يحاول تقصى تاريخ الماسونية فى مصر ، ولا كان محمد عبده يهمه ان يؤرخ لها • فقــد رأينا كيف دخلت الماسونية مصر قبل عهد اسماعيل ، وكيف حاولت المحافل الأجنبية ـ ذات الأغلبية الأوربية ـ ان تشتغل بالسياسة والمكائد ، وكيف انقسمت فى أواخر عهد اسماعيل بحيث كان قسم منها يؤيده او يؤيد خلافة ابنه توفيق له ، وقسم آخر يؤيد ولاية الأمير حليم ••. اما ان الماسونية لم تكن لها فى مصر ـ حتى ذلك الوقت ـ قوة ولا نفوذ فامر نسبى فى الحقيقة يمكن ان ينطبق على الأقلية المصرية فى المحافل ، ولكنه لا ينطبق على الأغلبية الأوربية فيها • فقد كانت هذه الأغلبية تعمل ـ بطبيعة تركيبها وانتماءاتها ـ لحساب المصالح الأوربية وقناصل اوربا ، على الرغم من شعار عدم التدخل فى الدين او السياسة الذى ترفعه الماسونية دائما •

لعل رالف بورج نائب القنصل الانجليزى فى مصر كان من انشط واخطر قناصل أوربا فى أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق والاحتلال ، لا فى السياسة وحدها وانما فى الماسونية أيضا • ولأن المحافل الماسونية تجمع بطبيعتها أناسا مختلفى الأفكار والمشارب فهى مصدر مهم من مصادر المعلومات • ولذلك كانت من أهم مصادر معلومات بورج • وهذا هو أهم مظاهر القوة أو النفوذ الذى كان للماسونية فى مصر - على الأقل - خلال مرحلة تاسيسها ثم يأتى بعد ذلك مظهر آخر يتمثل فى حرص أصحابها على رعاية الحاكم لها والاحتماء بالشخصيات الكبيرة فى البلد الذى توجد فيه • واذا كانت الماسونية فى بداية مرحلة التأسيس السابقة قد خاب حظها فى الأمير حليم الذى طرده اسماعيل سنة ١٨٦٨ فلم يخب حظها مع اسماعل نفسه ، ولا مع ابنه توفيق من بعده ، ولا مع السلطان - الملك فيما بعد - احمد فؤاد ، ولا مع كثيرين غير هؤلاء من الشخصيات المرموقة فى مختلف المجالات •

واذا كانت مرحلة التأسيس السابقة بدأت بغزو أجنبى فقد بدأت هذه المرحلة ، مرحلة الاستقرار ، بغزو اجنبى أيضا ، ولا تعنينا هذه المصادفة ، وانما يعنينا انها - فى الحالتين - تأكيد لطابع الظاهرة المستوردة الذى اتصفت به الماسونية فى تاريخ مصر الحديث بوجه عام ، واثر فى حركتها وتطورها عبر هذا التاريخ • ولكننا نلاحظ أن الاحتلال البريطانى كان من أهم عوامل استقرارها فى البلاد ، لا لأنها - كما رأينا من قبل - صناعة بريطانية وحسب ، وانما لأن كثيرين من قادة الاحتلال كانوا ماسونيين متحمسين على الطريقة الاسكتلندية • ومن هؤلاء الجنرال ولسلى قائد جيش الاحتلال نفسه ، فضلا عن بعض جنرالاته المشهورين مثل سميث وكتشنر وونجت • وشجع هؤلاء وغيرهم كثيرين من ضباط الجيش المصرى على الانضمام الى المحافل الانجليزية •

لقد شهدت مرحلة الاستقرار هذه ـ بما توفر لها من دعم الحاكم والمحتل ـ عددا من التطورات الايجابية والسلبية على السواء • وأهم التطورات الايجابية أربعة هى :

١ ـ استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة •

٢ ـ احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات •

٣ ـ التوسع الجغرافى •

٤ ـ ظهور الكتب والصحف الماسونية •

ونتوقف الآن للحديث عن هذه التطورات واحدا بعد الآخر •

اولا : استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة :

فى سنة ١٨٨١ تولى منصب الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى رجل أوربى لم يحدد أحد جنسيته ، وان كان يظهر من اسمه أنه يونانى ، ويدعى ديوانس اكونوموبولو • وقد استمر فى منصبه حتى سنة ١٨٨٨ • ولكن الماسونية اضمحلت فى عهده « نظرا لضعفه وعدم اقتداره »(٥٢) • ثم عرض الماسونيون المنصب على الخديو توفيق ، أى أنهم أرادوا التخلص من زميلهم مقابل الظهور بمظهر اكبر وافخم • وتم ذلك عقب اجتماع انتخبوا فيه الخديو استاذا اعظم ، بعد ان كان فى المرحلة السابقة عضوا عاديا • وفور انتخابه ذاك ذهب وفد من المحفل يحمل اليه قرار الرئاسة • وطلب منه الوفد قبول القرار ، « لأنه اذا لم يشد أزرهم آل أمر الماسونية الوطنية الى الاضمحلال » على حد تعبير شاهين مكاريوس بل القى احدهم قصيدة طويلة بين يدى الخديو ، واستهلها باشارات الى شعارات الماسونية قائلا :

الحـــر يدرك بالتـــوفيق ما طلبـــا
وبالمســـــاواة كل يبلـــغ الأربـــا

وبالاخـــاء رخـــاء العيش مقـــترن
تربو رباه اذا عهـــد الاخـــاء ربا

وما المســـاواة الا العدل وهو على
مصـــر بتوفيق مدت روحه طنبـــا

ووافق توفيق على اختياره أستاذا أعظم · ووعد بشد ازر الماسونيين ، ولكنه اعتذر عن عدم حضور اجتماعاتهم ، وأناب عنه وزير الحقانية (العدل) حسين فخرى (باشا)(٥٤) · أما الشاعر صاحب الأبيات السابقة فكان حفنى ناصف ·

ظل الماســـونيون يقدرون هذا الجميل حتى توفى توفيق فى ٧ يناير ١٨٩٢ · وحين خرجت جنازته فى اليوم التالى من قصر عابدين « كان من الهيئات المشيعة جماعة الماسونيين »(٥٥) · بل ان المحافل أعلنت الحداد « على رئيس الشرف الأعظم الأبدى لها مدة سبعة شهور »(٥٦) أما كونه « رئيس شرف » فذلك نتيجة تغير حدث قبل وفاته بنحو عام · اذ تخلى عن منصبه ، واكتفى بالرئاسة الشرفية ، وحل محله فى ٢٣ يناير ١٨٩١ رجل مصرى هذه المرّة انتخب أستاذا أعظم ، ولعب دورا خطيرا فى الحركة الماسونية بعد ذلك ، وهو ادريس راغب (بك) ·

وكان راغب (ولد سنة ١٨٦٢) قاضيا بالمحاكم الأهلية وقتها · وهو نفسه ابن اســـماعيل راغب (باشا) الوزير ورئيس مجلس شورى النواب فى عهد اسماعيل ، ثم رئيس الوزراء فى عهد توفيق وقت احتلال مصر · وهو من أصل يونانى ، جمع فى حياته ثروة كبيرة تركها لابنه ادريس الذى أنفقها بسخاء على الماسونية منذ

توليه منصب الأستاذ الأعظم • فقد قام بتسديد ديون المحفل الأكبر فور توليه ، وانشا « محفلا اكبر لدرجة الأساتذة المعلمين » وعندما عين فى سنة ١٨٩٥ مديرا لمديرية القليوبية انشا فى عاصمتها (بنها) محفلا باسمها • وفى عهد أستاذيته ازداد عدد المحافل حتى بلغ ٥٤ محفلا ، منها اثنان باسمه (محفل ادريس رقم ٤٢ ومحفل راغب رقم ٥) • كما انشا صحيفة تنطق باسم الماسونية(٥٧) • بل انشا ـ خارج المجال الماسونى ـ حزبا سياسيا صغيرا سماه « الحزب الدستورى » كان يدعو الى التمييز الطبقى ، ولا يعتد بالحياة النيابية ، مقابل الولاء الكامل للسلطة(٥٨) •

لم يكن ادريس راغب ـ كما هو واضح ـ شخصية كبيرة ولا مرموقة ، ومع ذلك ظل يشغل منصب الأستاذ الأعظم حتى سنة ١٩٢٢ • ويبدو أن أمواله لعبت دورا ايجابيا فى بقائه طوال ثلث قرن تقريبا على رأس « السلطة » الماسونية كما سميت فى ذلك الوقت • وقد حل محله فى ذلك العام الأمير محمد على توفيق ولى العهد الذى خلف اباه فى المنصب الشرفى السابق • ولكن محمد على لم يستمر طويلا • فقد استقال سنة ١٩٢٧ بدعوى « رغبته فى الاخلاد الى الهدوء والراحة ، واعتلال صحته ، وعدم قدرته على الحضور فى دار المحفل الأكبر ليلا ، وكثرة أسفاره »(٥٩) وخلفه فى منصبه رجل ثرى آخر يدعى محمود فهمى قطرى (باشا) تولى منصب « الأستاذ الأعظم » سنة ١٩٢٨ لمدة عامين تقريبا • ثم خلفه محمد رفاعة (بك) ، فأحمد ماهر (باشا) •

ولم يكن هؤلاء وغيرهم هم كل الشخصيات الكبيرة والمرموقة التى استقطبتها الماسونية • فقد ظهرت أسماء أخرى المع واقوى فى صحف الماسونية وكتبها ونشراتها على مدى هذه المرحلة • ففى عشريات هذا القرن نجد ولى الدين يكن وابراهيم اليازجى وخليل

مطران وحفنى ناصف واسماعيل صبرى واحمد فتحى زغلول من الأدباء والشعراء والمثقفين . كما نجد سعد زغلول وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت من السياسيين . وفى عشرينات القرن يستمر ظهور معظم هذه الأسماء مضافا اليها محمود رمزى نظيم واحمد زكى ابو شادى من الأدباء ، وعمر سعيد حليم وسعيد محمد على حليم وسعيد داود من الأمراء والنبلاء ، وعلى شعراوى ومحمد حافظ رمضان وفؤاد اباظة من السياسيين ، والشيخ حسن مامون من رجال الدين ، واللواءان على شوقى ومحمد فهمى المتينى من ضباط الجيش . وفى الثلاثينات تستمر معظم هذه الأسماء وتستجد عليها أسماء اخرى ، مثل حسين شفيق المصــرى من الأدباء ، ويوسف وهبى من الفنانين ، واحمد ماهر من السياسيين ، ومحمود رسمى (رائد) ومختار زاهر (نقيب) من ضباط الجيش . وفى الأربعينات تكاد الصحف والكتب والنشــرات الماسونية تختفى ، ولا يظهر للنشاط الماسونى اثر ملموس ، ولكن تستمر بعض الأسماء السابقة فى الظهور ، ويستجد عليها رجال مثل محمد رفعت من كبار موظفى الدولة ، والشيخ محمد ابو زهرة من رجال الدين ، واحمد غلوش من الأطباء ، وفؤاد سراج الدين من السياسيين .

تظهر شخصية سعد زغلول كاهم الشخصيات التى اهتمت بها الماسونية حتى وفاته سنة ١٩٢٧ . ففى سنة ١٩٢١ وضـــعت « المجلة الماسونية » صورته على اولى صفحاتها بعنوان « مشاهير رجال الماسون » وكتبت تحتها : « حضرة صاحب المعالى الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا نائب أستاذ اعظم شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى »(٦٠) . وفى سنة ١٩٢٢ نشرت المجلة ذاتها نداء الى جميع السلطات الماسونية العظمى فى العالم تحتج فيه « على ما اصاب الحرية فى شخص احد ابنائها وصفوة رجالها الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا زعيم الحرية المصرية ورفاقه الأحرار »

الذين نفتهم السلطة العسكرية الانجليزية الى جزيرة سيشيل ، فالمحفل الأكبر الوطنى المصرى يشارك الأمة المصرية فى عواطفها واحتجاجها ، ويتوسل بحق العهود الماسونية الى جميع الشروق العظمى والمحافل الكبرى الماسونية على العموم والمحفل الأكبر الانجليزى على الخصوص أن يعملوا على الغاء الأوامر التى قضت بنفى الأخ الفائق الاحترام سعد زغلول باشا ورفاقه ، والكف عن استعمال القسوة التى اتخذتها السلطة العسكرية الانكليزية ضد الشعب المصرى الهادىء الأعزل »[٦١] ٠

ومن الواضح ان هذا النداء الاحتجاجى كان خروجا على مبادىء الماسونية التى تقضى بعدم التدخل فى شؤون الدين والسياسة ٠ ومع ذلك مضت الصحف الماسونية فى ذلك التدخل عن طريق المحفل الأكبر الوطنى المصرى ٠ ففى ابريل من ذلك العام ارسل المحفل الأكبر الى الملك فؤاد برقية يناشده فيها العمل على اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه المنفيين[٦٢] ٠ وفى يونيو ١٩٢٤ استنكرت مجلة « الميثاق » محاولة الاعتداء على « الأخ كلى الاحترام سعد زغلول » بعد عودته من المنفى[٦٣] ٠ ولما مات سعد زغلول بعد نحو ثلاث سنوات طلب الى المحافل الماسونية « ان تستعمل فى مكاتباتها أوراقا مجللة بالسواد ، وتلبس الحداد ، وأن يضع جميع الموظفين ورودا سوداء على أوشحتهم ومآزرهم مدة سبعة أسابيع ٠ واقيمت حفلة جناز لذكرى الزعيم المحبوب »[٦٤] ٠

لم يكن سعد زغلول ــ على أى حال ــ عضوا عاملا فى الماسونية ، وانما كان منصبه (نائب أستاذ اعظم) شرفيا ، يلى منصب الأمير محمد على (الأستاذ الأعظم) الشرفى ايضا حتى سنة ١٩٢٢ ٠ ومع ذلك حظى سعد زغلول بكل هذا التقدير فى الوقت الذى لم يحظ فيه زميله عبد الخالق ثروت (باشا) بتقدير مماثل حتى عند وفاته فى سبتمبر ١٩٢٨ ٠ فقد اعلن رئيس المحفل الأكبر

وقتذاك (محمود فهمى قطرى) أن الماسونية فجعت « بوفاة حضرة الأخ المغفور له صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا » وأوقف أعمال الجلسة التالية للوفاة « عشر دقائق حدادا ثم قرر ارسال برقية عزاء الى أسرته الكريمة »(٦٥) وكان ثروت بدرجة « منبه أعظم شرف » ، اى انه لم يكن ماسونيا عاملا ايضا ·

ومن الواضح ان استقطاب الماسونية لمثل هذه الشخصيات الكبيرة او المرموقة قد ساعدها على الاستقرار ، والظهور بمظهر الأهمية ، والدعاية فى الأوساط غير الماسونية ، والتوسع الجغرافى داخل البلاد ·

ثانيا : احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات :

اذا كانت الماسونية - كما رأينا - ظاهرة وافدة على أيدى الجاليات الأجنبية ، فمن الطبيعى أن تحتضن أبناء هذه الجاليات فضلا عن أبناء الأقليات المستوطنة · ولكن من الملاحظ فى هذه المرحلة ، مرحلة الاستقرار ، أن أبرز هذه الجاليات والأقليات التى وجدت الرعاية والتشجيع من الماسونية ، هى الأقلية الشامية المسيحية المهاجرة والأقلية اليهودية المستوطنة · وفى الوقت ذاته وجدت الماسونية فى هذه وتلك كل عون وتشجيع ، ولاسيما فى مجال الاعلام ·

(أ) الأقلية الشامية المسيحية :

شهدت مصر ، فى أعقاب استقرار الاحتلال الانجليزى ، موجة جديدة من المهاجرين المثقفين الشاميين · وتصادف أن كان معظم هؤلاء من لبنان ، ومن خريجى أو دارسى الكلية السورية الأمريكية · كما تصادف أن « معظمهم كان من أعضاء جمعية شمس البر التى

وصفها الأب لويس شيخو بانها جمعية ماسونية »(٦٦) وكان من اعضائها المؤسسين شاهين مكاريوس ويعقوب صـــروف ، ومن اعضائها الفخريين فارس نمر • وكان ثلاثتهم يصدرون فى بيروت مجلة « المقتطف » الزراعية الصناعية العلمية منذ سنة ١٨٧٦ •
ولكن يبدو أن غياب حرية التعبير فى الشام ، فى ذلك الوقت ، اثر فى حرية المعتقدات ، وأن الماسونية كانت تعانى ـ هناك ـ نوعا من الاضطهاد الشعبى اذا صح التعبير • فقد ذكر جرجى زيدان أن أول محفل ماسونى فى بيروت تأسس سنة ١٨٦٢ ثم تلاه آخر سنة ١٨٦٩ ، ولكن الكنيسة الجزويتية قاومت الفكرة الماســونية منذ البداية حتى اصبح اسم « الماسون » عند العامة « مرادفا الأدنى صفات الاحتقار ، فكانوا اذا ارادوا المبالغة فى وصف أحد الكفرة أو المنافقين لا يجدون انسب من قولهم « فارماسون » للافادة عما فى ضـــميرهم ، فهى عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق مختلس ، وما شاكل »(٦٧) وذكر شاهين مكاريوس أن سمعة الماسونية كانت سيئة الى درجة تشاتم الأهالى باسمها « فيقول الواحد للآخر يا ابن الفرمسونى • وعندئذ تثور ثائرة المشتوم فيمسك بخناق صاحبه ويصيح : ياناس اشهدوا ، يشتمنى ويقول : يا ابن الفرمسونى • انت فرمسونى وكل اهلك فرمسون »(٦٨) •

ولكن مصر لم تكن تعرف فى ذلك الوقت أى عداء رسمى أو شعبى من هذا النوع • ولهذا قصدها هؤلاء وغيرهم بحثا عن حرية الرأى والاجتماع والتعبير • ففى سنة ١٨٨٤ جاء ثالوث صروف ونمر ومكاريوس الى القاهرة ، وتابعوا اصدار « المقتطف » منها • وسرعان مالحق بهم جرجى زيدان وعدد آخر من الكتاب والصحفيين من بينهم ابراهيم اليازجى وخليل مطران وملحم شكور ونعوم شقير وجبر ضومط وفيلكس فارس على التوالى • ولم تمض سنوات قلائل حتى كان الثالوث السابق ـ بصفة خاصة ـ قد دعم صلته بسلطات

الاحتلال · بل ان فارس نمر (١٨٥٧ ـ ١٩٥١) تزوج ابنة القنصل الانجليزى فى مصر سابقا ، ثم زوج ابنته ـ فيما بعد ـ الى السكرتير الشرقى للسفارة الانجليزية · وعن طريق تعاونهم مع الانجليز أصدر شاهين مكاريوس (١٨٥٣ ـ ١٩١٠) مجلته « اللطائف » سنة ١٨٨٦ ، التى استمرت فى الصدور حتى وفاته · وأصدر فارس نمر صحيفته « المقطم » سنة ١٨٨٨ التى استمرت فى الصدور حتى أواخر ١٩٥٢ واستقل يعقوب صروف (١٨٥٨ ـ ١٩٢٧) بمجلة« المقتطف» التى استمرت فى الصدور الى أواخر ١٩٥٢ أيضا وكانت مطبعة « المقتطف » التى أدارها مكاريوس تطبع المجلتين والصحيفة فى البداية ، فضلا عن المطبوعات الحكومية والاعلانات القضائية التى تتلقاها من السلطة ، وتقارير اللورد كرومر (المعتمد البريطانى) السنوية لحكومته عن مصر · وكانت مجلة « المقتطف » تترجم هذه التقارير الى العربية والفرنسية وتوزعها على مشتركيها ·

كانت مطبعة « المقتطف » ـ كما سنلاحظ فى الببليوجرافيا الملحقة ـ مصدر طبع العديد من الكتب والنشرات الماسونية · ومن أهم هذه الكتب نحو عشرة مؤلفات لشاهين مكاريوس وادريس راغب ، فضلا عن مجلة « اللطائف » التى جعلها مكاريوس منبرا بارزا للماسونية ، ومجلة « المقتطف » التى كانت أول مجلة عربية فتحت صفحاتها للماسونية تعريفا وتبشيرا ابتداء من سنة ١٨٨٤ ، وجريدة « المقطم » التى أتاحت للماسونية نافذة جماهيرية يومية واسعة ·

واذا كان جرجى زيدان اكتفى بكتابه الوحيد الذى سبقت الاشارة اليه ، وهو أول كتاب بالعربية عن الماسونية ، فلم يكتف شاهين مكاريوس بكتبه السبعة التى نشرها فى القاهرة عن الماسونية ، ولكنه كان من أنشط ـ ان لم يكن أنشط ـ عناصر الدعاية لها ، لا على المستوى النظرى فى التأليف والكتابة وحسب ، وانما

على المستوى العملى أيضا ، أى على مستوى المحافل العديدة التى انضم اليها أو أسسها • واذا كانت « المقتطف » عالجت الماسونية بطريقة معتدلة الى حد ما ـ كما سنرى ـ فقد كانت مجلة « اللطائف على النقيض من هذا تمـــاما • فهى « أول مجلة جاهرت بالتعاليم السرية الماسونية فى القطر المصرى » على حد تعبير قسطاكى الحلبى أحد مؤرخى الصحافة العربية(٦٩) • بل ان صاحبها ومحــــررها مكاريوس أنشأ محفلا باسمها ، ووصـــفه بقوله انه « جمعية أدبية شريفة المقاصد لا تتعرض لدين ولا لسياسة ، فهى تضم من المسلمين والمسيحيين واليهود الجم الغفير من أبناء المشرق »(٧٠) ومع ذلك دخلت المجلة سنة ١٨٨٨ فى معركة حادة مع اليسوعيين (الجيزويت) والبت عليهم الحكومة • وكان مما نشرته فى تعريف « الحرية » قولها انها « لفظ لم نسمع به مســـتعملا فى معناه المتعارف الآن (١٨٩١) الا منذ وجود هيئة الماسونية فى مصر »(٧١) ولعل هذا كاف للدلالة على تحمس المجلة وصاحبها للماســـونية دون أى اعتدال •

غير أن « اللطائف » ، مجلة ومحفلا ، لم تكن كافية ـ فيما يبدو ـ لاســـتيعاب حماسة مكاريوس • فقد ألف ستة كتب تحمل عناوينها ـ كما سنرى فى الببليوجرافيا ـ مضمونا دعائيا صارخا، فضلا عن كتاب سابع مترجم قام بطبعه وتقديمه بعنوان « تاريخ الماسونية القديمة وآثارها » وفيه أضاف فصلا عن تاريخها فى مصر لم يزد شيئا عما ذكره زيدان من قبل ، سوى تمجيد ادريس راغب والدعاية له • وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه انضم الى الماسونية سنة ١٨٧٣ فى بيروت • واورد على غلافه بيانا طريفا بمكانته ومناصبه فى الماسونية ، هذا نصه بعد عبارة « عنى بطبعه شاهين بك مكاريوس » :

« رئيس أعظم شرف مقام العقد الملوكى بالينويس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس ثالث أعظم مقام العقد الملوكى الأكبر بمصر ، وعضو شرف فى جمعية أبطال الماسونية القدماء ، وعضو شرف فى كل من محفل اللولو بأمريكا ، ومحفل سلتك الأمريكى ، ومحفل سليمان الملوكى بالقدس ، ومحفل الثبات ، ومحفل الصفا بمصر ، ومحفل سورية فى بيروت ، ومحفل اسكله سليمان بيافا ، ومحفل بنى سويف ، ومقام كوكب الشرق الانكليزى ، ومجمع الكرنك الفرنسوى لدرجة ١٨ ، ومنبه أول شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ومنبه أول الشرق الأكبر المصرى ، ورئيس ومؤسس محفل اللطائف ومقام اللطائف ، ومحفل فينيقية ، ومحفل بدر حلوان ، ومحفل بدر حلوان الكمالى ، ورئيس ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الأساتذة المعلمين (المارك) ومحفل المقطم ، وعضو محفل الاخلاص (المارك) ومحفل الحكمة • وأستاذ شرف المحفل الأكبر بفلادلفيا ، وحائز لدرجة النخل والصدف ودرجة ٣٢ وغيرهما » •

ومع ذلك ، غلبت الحماسة فى هذه المؤلفات ـ كما فى هذا البيان ـ على الموضوعية ، وسيطرت الدعوة على الداعية وحب الظهور على التواضع ، حتى تحول الرجل ـ بمفرده ـ الى مؤسسة ماسونية كبرى كما رأينا فى قائمة نشـــاطه المذكورة على غلاف الكتاب السابق •

اذا كان مكاريوس على هذا النحو من التباهى بقدراته ونشاطه فقد كان فارس نمر وصروف أقل تباهيا وحماسة • فقد اختير نمر رئيس شرف لمحفل الثبات ـ الذى كان مكاريوس من أعضائه ـ بالقاهرة • ولم يعرف عن صروف أنه انضم الى محفل معين ، وان كان قد بذل نشاطا فى الكتابة عن الماسونية فى « المقتطف » • ومع

ذلك وقع مكاريوس وصروف عام ١٩٠٩ فى معركة طويلة مع الأب لويس شيخو اليسوعى (١٨٥٩ ـ ١٩٢٧) الذى داب على مهاجمة « المقتطف » واصحابها فى مجلته البيروتية « المشرق » منذ صدورها سنة ١٨٩٨ حتى وفاته • فقد تناول شيخو الدعوة الى الماسونية فى مجموعها بالنقد الحاد فى سلسلة من المقالات بعنوان « السر المصون فى شيعة الفرمصون » وفى هذه السلسلة الفريدة من نوعها راح الرجل ينقب فى مؤلفات الماسونيين الفرنسية والعربية ليدلل على عدائها للمسيحية • ولم يدع أصحاب المقتطف واللطائف والمقطم والهلال وغيرهم من الماسونيين الشوام المهاجرين دون التدليل على ضعف حججهم ، ومعارضة الماسونية للدين ومناهضتها للسلطة الشرعية • ويمكن أن نعد هذه السلسلة أول هجوم منظم بالعربية على الماسونية ، بالرغم من سياسة الصمت التى اتخذها ـ ازاءها ـ مكاريوس وصروف ونمر وزيدان •

وقد كشفت هذه المعركة فى النهاية عن رسالة بعث بها صروف الى شيخو كنوع من طلب الهدنة • وهذه الرسالة لم تنشر بالعربية من قبل ، ولكن المستشرق الاسرائيلى س • موريه نشر ترجمة لبعضها بالانجليزية فى كتابه « الشعر العربى الحديث » ، وروى أن الدكتور توماس فيليب بمركز دراسات الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا أعطاه نسخة مصورة لها •

فى هذه الرسالة المؤرخة فى ١٤ يونيو ١٩١١ كتب صروف من القاهرة يعترف بأنه انضم الى الماسونية لمدة عشر سنوات (١٨٧٦ ـ ١٨٨٦) ويخطىء شيخو فى قوله ان الماسونية تناقض المسيحية • ثم يضيف :

« انها ـ على العكس ـ تؤلف بين قلوب المسيحيين والمسلمين وتجعل المسلمين يحترمون الديانة المسيحية » •

ومع أن موريه لم ينشر النص الكامل للرسالة ، ومع اننا لا ندرى شيئا عن ظروفها ، فان السطرين السابقين يكشفان عن تفكير الأقلية الشامية المسيحية فى مجتمع مسلم الأغلبية مثل مصر ، ويؤكدان ما سبق ان قلناه من أن الماسونية تجتذب الأقلية عادة ، ايا كانت ديانتها • فصروف المسيحى فى بلد اغلبيته مسلمة مثل مصر يسعى الى الماسونية لأنه يعتقد انها تفرض على الأغلبية احترامه أو حمايته • وهذا ما يؤكد حرص الماسونية ايضا على الاحتماء برجال الحكم واقطابه • ومع ذلك يبدو ان المسالة كانت ـ كما قلنا ـ طلبا للهدنة وايقاف المعركة ، لأن صروف لم يكن بحاجة الى هذا النوع من التبرير وقتها فى ظل استقراره ونجاح مجلته •

غير أن هذا الحماس الشديد الذى أبداه المهاجرون الشوام المسيحيون نحو الماسونية لم يستمر طويلا • فبعد وفاة مكاريوس سنة ١٩١٠ خف الحماس كثيرا • وبعد وفاة صروف سنة ١٩٢٧ ازداد الحماس فتورا • ولكن الماسونية ذاتها كانت قد استقرت ولم تعد بحاجة كبيرة الى الدعاية بعد العقود الثلاثة الأولى من مرحلة الاستقرار هذه ، اى منذ ١٨٨٢ الى ١٩١٢ تقريبا • ومع ذلك ، ليس من اليسير التقليل من الدور الدعائى للماسونية الذى لعبه كتاب الجالية الشامية المسيحية وصحفيوها خلال هذه العقود الثلاثة على الأقل • واذا عدنا الى قائمة الصحف المدرجة فى البيليوجرافيا فسوف نجد أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية يبلغ عشر صحف ، منها خمس كان يملكها ويحررها شاميون مسيحيون ، فى حين أن عدد الصحف التى تخصصت فى الماسونية يبلغ سبع صحف ، لم يكن منها سوى صحيفة واحدة لأبناء تلك الأقلية مقابل ثلاث صحف لأبناء الأقلية اليهودية •

(ب) الأقلية اليهودية :

يمكن القول ـ دون الدخول فى تفصيلات كثيرة ـ أن مرحلة استقرار الماسونية هذه (١٨٨٢ ـ ١٩٤٨) كانت تمثل فى الوقت ذاته العصر الذهبى لليهود فى تاريخ مصر الحديث • وقد أتاح لهم الاحتلال البريطانى ـ كما أتاح للماسونية ـ الكثير من فرص النمو والازدهار • وكان أظهر رد فعل لذلك هو التزايد المستمر فى هجراتهم الى مصر •

لقد كان اليهود أقلية مستوطنة فى مصر طوال التاريخ القديم والحديث ، ولكن عددهم بدأ فى الزيادة المستمرة فى أعقاب الاحتلال البريطانى • فقد بلغ عددهم سنة ١٨٨٢ نحو ٢٠ الفا ، ثم بدأ هذا العدد فى الارتفاع ـ بالهجرة لا بالتكاثر وحده ـ من ٥٢٠٠ سنة ١٨٩٧ ، الى ٣٨٦٣٥ سنة ١٩٠٧ ، الى ٥٩١٤٨ سنة ١٩١٧ ، الى ٦٣٥٥٠ سنة ١٩٢٧ ، حتى وصل الى ٦٤٤٨٤ سنة ١٩٤٧ • ومن الواضح فى هذه الأرقام أن عدد اليهود لم يتوقف عن الزيادة غير الطبيعية ، وان كانت الزيادة الأخيرة محدودة • وسبب ذلك هجرة كثيرين منهم الى فلسطين وغيرها حتى قبل ١٩٤٧ • وقد رافق هذه الزيادة المستمرة ازدياد واضح فى حجم الأسر الكبيرة وأموالها ونفوذها من جهة ، وازدياد فى حجم الوضع اليهودى فى الماسونية من جهة أخرى •

وقد وجد اليهود فى الماسونية ما وجده فيها المسيحيون الشوام : مظلة للحماية ، ووسيلة لاكتساب عطف الأغلبية واحترامها فضلا عن كونها مجالا خصبا للعلاقات العامة التى لا تتيسر المصالح بدونها • بل انهم نجحوا فى سنة ١٩٢٢ فى تحويل الماسونية الى أداة لخدمة الصهيونية وأحلام الوطن القومى فى فلسطين كما سنرى بعد ذلك •

واذا كانت الأقلية الشامية المسيحية برزت فى مجال الدعاية والاعلام للماسونية فقد برزت الأقلية اليهودية فى هذا المجال أيضا . وكانت جهودها تالية من ناحية الكم لجهـود الأقلية الشـامية المسيحية ، ولكنها كانت أكثر منها تركيزا وتفوقا فى مجال المحافل ، أى المجال العملى للماسونية . فقد أصدر اليهود ثلاث صـحف متخصصة فى الماسونية ، وهى : « المجلة الماسونية » التى أصدرها فى الاسكندرية يوسف لفلوفه سنة ١٩٠١ ، مجلة « الاخاء » التى أصدرها فى القاهرة رحمين فرجون سنة ١٩٠٦ ، مجلة « الأخبار الماسونية » التى أصدرها فى القاهرة أيضا موسى جرونشتين (مع اسكندر فرج والبير بزيات) سنة ١٩٢١ . ومع ذلك كانت هذه الصـحف الثلاث قصيرة العمر بوجه عام كما سنرى عند الحديث عن الكتب والصحف الماسونية .

لم يكن اليهود أقل نشاطا وحماسة فى المحافل أيضا . فقد ترددت اسماؤهم كثيرا فى أخبار المحافل ونشاطها فى الصـحف والنشرات الماسونية ، ولاسيما فى العشرينات . ومن هذه الأسماء تالثان سوسان سكرتير محفل « الايمانسيباسيون » (كلمة فرنسية بمعنى التحرر) بالاسكندرية سنة ١٩٠٣(٧٣) ، وموسى جرونشتين مؤسس ورئيس محفل اسكندر الأكبر فى القاهرة حتى وفاته فى مارس ١٩٢١ ، وموسى مصـلياح رئيس محفل فؤاد رقم ٢٢٠ بالقاهرة سنة ١٩٢١(٧٤) ، وايلى عقرب مسـاعد خزان أعظم وشاؤول عقيرب مساعد حامل علم أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢١ ، وسلمون جولدشتين أمين خزينة أعظم والبرت بزيات مرشد أول أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢٢ (الأخير هو نفسه شريك جرونشتين فى تأسيس مجلة « الأخبار الماسونية »(٧٥) ، وعزرا نحماد وايلى ليفى وادموند ميلى وصـول دافاس وعزرا شاوول ولينادوا وس . س . فروجيه موظفون وضباط عظام بالمحفل الأكبر سنة ١٩٢٣/٢٤(٧٦) .

وتكشف قائمة المحافل وأساتذتها العظام لسنة ١٩٢٨ عن وجود ٥٢ محفلا تحت لواء المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى تلك السنة ، منها محفل « أحيقام » الذى جعل العبرية لغته ، فضلا عن ٨ محافل تشغل الأسماء اليهودية مناصب الأساتذة العظام فيها (فيكتور موديانو وليون ستاراسلسكى ويوسف شحاته هرارى وليون محرز فى القاهرة ، ايلى حتويل وهوجز موسو وسابينو كاليا فى الاسكندرية ، ماير دنكور فى السويس) ، فى حين شغل المسيحيون الأقباط ٣ مناصب مقابل لاشىء للمسيحيين الشوام ، ٢٤ للمسلمين ، ١٧ لليونانيين وغيرهم من الأوربيين ، اى ان الوجود اليهودى فى الاعلام والمحافل لم يكن عابرا أو محدودا فى تلك الفترة ٠

ثالثا : التوسع الجغرافى :

كان من نتائج استقرار الماسونية فى هذه المرحلة أنها بدأت فى النمو والتوسع داخل مصر وخارجها ٠ واذا كان التوسع الداخلى طبيعيا لازدياد الاقبال على المحافل فقد كان التوسع الخارجى تطورا غير مسبوق ٠

(أ) فى الداخل :

يتبين من متابعة الصحف الماسونية المتخصصة أن عدد المحافل أخذ فى الازدياد المستمر طوال الثلث الأول من هذا القرن ٠ ففى سنة ١٩٠٣ بلغ عدد المحافل ٤١ محفلا ٠ ولم تقتصر هذه المحافل على المدن المصرية الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وطنطا ، وانما تعدتها الى المدن الصغرى مثل السنبلاوين ٠ وبنها والابراهيمية(٧٨) ٠ وفى سنة ١٩٠٧ بلغ عدد المحافل ٤٢ محفلا ، اى بزيادة محفل واحد ، وكان أكثرها فى القاهرة والاسكندرية ٠ ولكنها دخلت مدنا أخرى لم تعرفها من قبل مثل ميت غمر ٠ وكان

تقسيمها الجغرافى كالآتى : ٣٢ فى القاهرة ٥ فى الاسكندرية ، ٢ فى طنطا ، محفل واحد فى كل من المنصورة والزقازيق وميت غمر[٧٩] وفى سنة ١٩٢١ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر الوطنى المصرى وحده ٢٩ محفلا • وبلغت ايرادات هذا المحفل فى المدة من يناير الى يونيو ١٩٢١ نحو ٣٨٧٢ر٩٤٦ جنيها ، وبلغ رصيده ٣٠١١ر٤١٨ جنيها[٨٠] وفى سنة ١٩٢٤ بلغ عدد المحافل المصرية العاملة التابعة لسلطات (ماسونية) معروفة لدى المحفل الأكبر فى القاهرة والاسـكندرية وطنطا ، والخرطوم وعطبره والسويس والمنصورة نحو ٢٥ محفلا[٨١] • وفى سنة ١٩٢٧ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٩ محفلا ، وبلغ عدد اعضائها ٦٥٠٠ عضو[٨٢] • وفى سنة ١٩٢٩ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٢ محفلا • وكان توزيعها كالآتى : ٢٦ فى القاهرة ١٣ فى الاسكندرية ، ٢ فى كل من بورسعيد والسـويس والاسـماعيلية والمنصـورة وكفر الزيات ، محفل واحد فى كل من بنها وطنطا ودمنهور[٨٣] •

ومن الواضح فى هذه الأرقام انها مالت الى عدم الاستقرار بشكل عام بالرغم من ارتفاعها المستمر تقريبا ، وان بيان المدن التى عرفت هذه المحافل يدل على أن حركة المحافل ــ بالنقص أو الزيادة ــ كانت تتبع حركة اسـتقرار الأقليات والجاليات الأجنبية فى هذه المدن • ولكن يبدو من أرقام الأعضاء سنة ١٩٢٧ أن هذه المحافل لم تكن مزدحمة ، ولا كانت عضويتها ساحقة ، وأن الانضمام لها كان أشبه بالانضمام الى الأندية الاجتماعية المحدودة • بل ان هذا العدد ذاته لايتناسب مع الدعاية التى بذلتها المحافل وانصارها • ولكن المسألة ــ كما هى دائما فى الماسونية ــ ليست مسألة كم • فالأعضاء يختارون بعناية ، والمصالح التى تربطهم لابد أن تكون قـوية •

(ب) في الخـــــارج :

لم يعرف عن الماسونية المصرية أنها تخطت حدود البلاد قبل سنة ١٨٩١ ، بحيث يصبح لها رعايا من المحافل خارج مصر ·· ولكن حدث أن حصل شاهين مكاريوس على رخصة من المحفل الأكبر الوطنى المصرى لتأسيس محفل تابع له فى بيروت فى ذلك العام (١٨٩١) تحت اسم « محفل فينيقية » ، وان كان الوالى العثمانى أغلقه بعد قليل بأمر من الســـلطان عبد الحميد[٨٤] · وبعـــدها تأسست بعض المحافل فى أنحاء متفرقة من الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) · وازداد عدد هذه المحافل مع الزمن ، حتى أن المحفل الأكبر فى مصر قرر فى جلسة ٤ ابريل ١٩٢٨ تسمية المحفل الأكبر لســوريا وفلســـطين باســـم « المحفل الأكبر الاقليمى لســـوريا ولبنان »[٨٥] وفى ذلك العام بلغت المحافل التابعة للمحفل الأكبر المصرى ١٧ محفلا خارج مصر (راجع الملاحق) ، منها ١٠ محافل فى فلسطين ، ٥ فى لبنان ، محفل واحد فى كل من دمشق والبصرة وكانت سبعة محافل من العشرة التى فى فلسطين تحت رئاســـة اليهود[٨٦] · وفى الثلاثينات ظل عدد المحـــافل كما هو ، ولكن اليهود كانوا يشكلون ٨٥٪ من عضوية ١٢ محفلا منها[٨٧] ·

ويبدو أن دخول المحفل الأكبر المصرى فى عملية التوســـع الجغرافى الخارجى هذه كان سببا فى استقرار أحوال الماســـونية وتحسن سمعتها فى الشام ، بعد أن ساءت من قبل على نحو ما أشار زيدان ومكاريوس · كما كان سببا فى انتشار نفوذ المحفل خارج مصر ·

رابعا : ظهور الكتب والصحف الماسونية :

يتبين من الببليوجرافيا الملحقة أن الماســـونية شـــهدت خلال

مرحلة الاستقرار هذه نشاطا ملحوظا فى التاليف والصحافة على السواء ٠

(أ) التأليف :

ظهر أول كتاب بالعربية عن الماسونية فى القاهرة سنة ١٨٨٩ كما ذكرنا من قبل ٠ وبذل مؤلفه جرجى زيدان جهدا واضحا فى جمع مادته التاريخية وتحبيبها الى القارئ ٠ ثم تلاه شاهين مكاريوس الذى بلغت كتبه عشرة ، منها واحد مترجم طبعه وعقب عليه بفصل تاريخى عن الماسونية فى مصر ٠ وكان أول كتاب يظهر لمكاريوس سنة ١٨٩٥ بعنوان « الآداب الماسونية » ٠ وتعد كتبه العشرة رقما قياسيا فى هذا المجال لم يتخطه أحد بعده ٠ وبلغت حصيلة المرحلة كلها من الكتب ٣٥ كتابا وكتيبا بعضها غير معروف المؤلف او الناشر ، وبعضها فنى من النوع الذى يعنى بشعائر الماسونية ، ولاسيما الكتب الخمسة التى وضع ادريس راغب اسمه عليها ٠ وقد طبع معظم هذه الكتب بمطبعة « المقتطف » التى كان يديرها مكاريوس ٠ ومن الملاحظ أن العصر الذهبى فى التاليف عن الماسونية يقع فى الفترة من ١٨٨٩ الى ١٩١٠ ٠ ففى تلك الفترة التى انتهت بوفاة مكاريوس ظهر ٢٤ كتابا من مجموع الكتب السبعة والثلاثين ٠ ومن الملاحظ أيضا انه لم يظهر فى مصر خلال المرحلة كلها أى كتاب معاد للماسونية كما حدث فى لبنان ٠

وابتداء من كتاب « تاريخ الماسونية العام » لجرجى زيدان غلب على التاليف الماسونى طابع الترجمة والتلخيص من الكتب الأوربية ، وهذا أمر طبيعى ولاسيما فى الكتابة عن الجوانب التاريخية العامة ، والشعائرية الخاصة ، للماسونية ٠ كما غلب طابع الدعاية ، وهذا أمر طبيعى أيضا فى ظل حماسة انصار الماسونية الأوائل التى قادتهم الى التعميمات والمبالغات ٠

لقد اهتم جرجي زيدان ـ على سبيل المثال ـ بنقل كل مايخص الرجوع بالماسونية الى أقدم العصور ، وزاد عليه القياس والاستنباط من عنده • ففسر الأبنية الضخمة فى مصر القديمة كالمعابد والمقابر وما يوازيها فى الأندلس ومصر الوسيطة كالمساجد والقصور ، على أنها من نتاج الماسونيين الأوائل • وترجم ما يعرف فى الماسونية باسم « لائحة يورك » نسبة الى مدينة « يورك » الانجليزية ، وهى لائحة جمعت من الأوراق الماسونية القديمة ، ووضعت عام ٩٢٦ ، وضمت كثيرا من المواد التى مازال العمل جاريا بها عند الماسونيين المحدثين • ومن هذه المواد ما يتعلق باحترام الله والاخلاص للسلطان ، والاذعان لأوامر الحاكم ، ومساعدة الأخ الماسونى ، وكتمان الأسرار عن الغير ، والامتثال لأوامر الرؤساء ، ومعاونة الماسونيين الوافدين(٨٨) •

واهتم مكاريوس ، من جهة أخرى ، بكل هذه الأمور • ولكن مما يسترعى النظر فى كتبه وكتب ادريس راغب ذات الطابع الفنى، أو الشعائرى ، أنها تكشف عن صلة واضحة بين اليهودية والماسونية ففى كتابه « الأسرار الخفية فى الجمعية الماسونية » يقول ان « الأستاذ الأعظم الأول هو سليمان بن داود النبى الملك »(٨٩) • وفى الفصل الخاص بتاسيس المحافل يقول ان من شروط التاسيس أن يقدم تسعة أساتذة عريضة الى المحفل الأكبر باسم الأستاذ الأعظم ، فاذا وافق الأخير يحضر بنفسه لتكريس المحفل رسميا ويتلو دعاء لمهندس الكون الأعظم ، ثم يقرأ على الحاضرين المزمور المئة والثالث والثلاثين من مزامير داود الذى جاء فيه ذكر « ندى حرمون النازل على جبل صهيون لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة الى الأبد » • ثم ينادى الخطيب الحاضرين بقوله : « اشكروا يا اخوانى بصوت عال يهوه الذى شيدت القبة والهيكل لعبادته ونذكر اسمه الأعلى » وبعدها يتلو دعاء آخر يسمى « دعاء

التخصيص » ثم يقف الاخوان فيتلو الرئيس دعاء ثالثا يستهله بقوله : « نسألك يا الهنا واله بنى اسرائيل يامن لا اله غيرك » ويروى فيه حكاية بناء سليمان بيتا لاسم الرب وبيتا لملكه(٩٠) ٠

ليست الصلة بين هذه الشعائر وبين التراث اليهودى فى التوراة وغيره خافية ٠ ولا اعتراض على أن تستعين هذه بتلك ، ولكن الالحاح على الشعائر والرموز اليهودية لا يمكن أن ياتى عفوا هنا ، ولاسيما اذا علمنا أن الماسونية تلح على احترام الأديان دون الالتزام بدين معين ، والمعنى الواضح هنا هو انها تخلط الشعائر والرموز اليهودية بشعائرها ، وأن هذا الخلط ليس من السهل ان ياتى عن طريق المسيحيين من منظريها ، ولا عن طريق المسلمين من انصارها ٠ واذا جاء على سبيل التسامح فلابد ان يكون لليهود يد فيه ، أو فى اقتراحه ٠

وتتاكد هذه الصلة الواضحة بين الشعائر والرموز اليهودية والماسونية فى الكتب التى وضعها ادريس راغب ، ولاسيما فى كتابه « الدرجة الأولى » ٠٠ ففى هذا الكتاب شرح لبعض رموز هذه الدرجة (درجة التلميذ او المبتدىء) عن طريق السؤال والجواب ٠ ومن هذه الأسئلة سؤال عن اتجاه الريح فى الماسونية ، وجوابه : « من الشرق الى الغرب » بهدف « ترويح نفس الرجال وقت الشغل »، ولكن له معنى آخر هو انه « رمز للريح ذى المعجزة الذى كان ضروريا لخلاص بنى اسرائيل من أسر المصريين » ومن الواضح ان هذا المعنى مقحم على السياق اقحاما ، لأنه لا توجد علاقة بين الريح وخروج بنى اسرائيل من مصر الا على سبيل التذكير بما حدث لهم من أسر وتحرير ٠ وهذا ماتمضى فى توضيحه الأجوبة بعد ذلك ، فتقص قصة ارادة مهندس الكون الأعظم فى تخليص « شعبه المختار (الاسرائيليين) من أسر المصريين » وما حدث

لهم فى البحر ، حتى وصلوا سالمين الى بر الأمان • » وقد احيى ذكر هذا الخلاص بنو اسرائيل فساروا أياما فى الصحراء ينشدون ويشكرون الله القادر الذى نجاهم • ومن هذا التاريخ اعتبر أن الريح الشرقى موافق للماسونية »(٩١) •

هذه الاشارات وغيرها لم يظهر لها مقابل من الاشـــــارات المسيحية أو الاسلامية ، مما يؤكد عندنا احتمال اشتراك اليهود - فى مرحلة مبكرة - فى وضع شعائر الماسونية ورموزها • وليس من المستبعد - بالطبع - أن يكونوا ساهموا فى تنشيط الماسونية الرمزية وبعثها على انقاض الماسونية العملية • فقد ظهرت الماسونية الرمزية فى القرن الثامن عشر ، فى وقت كانوا مضطهدين فيه فى كثير من ارجاء أوربا •

ومن جهة أخرى اتصل بالتاليف عن الماسونية نشاط آخر تمثل فى شكلين محددين من أشكال الكتابة ، وهما المقال والقصيدة •

أما المقال فكان وسيلة الاعلام الأساسية عند الماسونيين حتى فى مرحلة التاسيس السابقة ، كما سبق أن رأينا عند الحديث عن صـــحف تلاميذ الأفغانى • وظلت للمقال هذه المكانة فى مرحـلة الاستقرار هذه • وربما كانت مقالات مجلة « المقتطف » أكثر اعتدالا فى لهجتها الدعائية من مقالات الصحف الأخرى • ومنها مقال بعنوان « الماسونية فى البلاد العثمانية » ظهر بدون توقيع فى عدد فبراير ١٩١٠ • ويستهله المحرر بقوله :

« من غـــرائب أطـــوار الانســـان أن غرضـــه يعميه عن رؤية الحقائق ، ولو ظهرت امامه واضحة مجسمة • مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعية الماسونية بانها جمعية سياسية معادية لكل سلطة مدنية • وهم يرون أعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة

من اعضائها العاملين فيها ، المؤيدين لها وهم من دول مختلفة وامم متباينة · بل كيف يعقل أن يكون لهم غرض سياسى يجمعهم وهم مختلفون سياسة تمام الاختلاف · ولا ينكر أن الماسونية تسعى لتحرير الناس من قيود الجهل والظلم والاستبداد ، وهى الغاية التى تسعى اليها الآن كل الحكومات الحكيمة الرشيدة · ولذلك لاتناقض بين مقاصدها ومقاصد الملوك والوزراء وسائر رجال السياسة ، فينتظمون فى سلكها ويؤيدونها · وحسبك شاهدا ما فعلته جمعية الاتحاد والترقى العثمانية · واكثر اعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بارشادها » ·

وعلى هذا النحو من التناول الهادىء ، الذى يبث الدعاية ولا يصرح بها ، يمضى المحرر فيطبق منطقه على ما تتهم به الماسونية من عداء للأديان مع أن فى سلكها ـ كما يقول ـ عددا كبيرا من رؤساء الأديان المختلفة · ثم يدلل على أن الماسونية لا غرض لها « الا أن يعين اعضاؤها بعضهم بعضا فى امورهم الزمنية ، وأن يسعوا فى كل ما يعلى شان البشر » ويكون دليله أن المحافل الانجليزية انفقت فى العام الماضى (١٩٠٩) مبلغ ٥٢ الف جنيه على مساعدة الأرامل والمعوزين ، و ٤٤ الف جنيه على تعليم البنات ، و ٣٦ الف جنيه على تعليم الصبيان · وينتقل الى الاعتراض على الماسونية بأن فيها اسرارا لا تفشيها ، فيقول : « ان هذه الأسرار محصورة فى اشارات يعلم الماسون بعضهم بعضا بها ، وفى رموز تستعمل فى كتبهم كالرموز التى يستعملها الرياضيون فى كتب الجبر ، وقلما يتعذر فهمها على من يطلب ذلك » ·

يتحدث المحرر ، بعد هذا ، عن فضل الماسونية على العثمانيين فيقول انها « بثت فى نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقى روح

الحرية ، وبها اقتدوا فى انشاء جمعيتهم التى فكت قيود الاستبداد » واخيرا يورد أخبار حفل أقامه الماسونيون فى القاهرة بمناسبة افتتاح محفل جديد باسم «محفل نيازى» بطل الحرية العثمانية ، برأسه نعوم شقير • ويضيف أن من شهود الحفل « عطوفة ادريس بك راغب الرئيس الأعظم للمحافل الماسونية المصرية » ، وأن كلمات وخطبا ألقيت خلال الحفل فى فضل الماسونية ، بالاضافة الى قصيدتين نشر المحرر نصـــــهما ، الأولى لولى الدين يكن الشاعر التركى المقيم بالقاهرة ، والأخرى لنعوم شقير المهاجر الشامى المسيحى ورئيس المحفل الجديد(٩٢) •

ومن الملاحظ أن انتصار « حركة تركيا الفتاة » وتقويضها لحكم السلطان عبد الحميد كان لهما أثر ايجابى فى الحركة الماســـونية فى مصر خلال تلك الفترة • وقد استغل دعاتها وجود بعض الماسونيين فى الانقلاب العثمانى فحاولوا الاستفادة من ذلك فى دعايتهم ــ كما فعل محرر المقتطف ــ ولاسيما بين المثقفين فى مصر الذين كان كثير منهم يكره استبداد عبد الحميد فى تركيا •

واما القصيدة فقد لعبت دورها ــ كشكل ادبى ــ فى الدعاية للماسونية خلال المرحلة • ولكن لماذا اهتم الشعراء بالماسونية ؟

الجواب ينطبق على الصحفيين والكتاب الذين ناصروها فى كتاباتهم ، اى بعد ان تمسونوا اذا صح التعبير • وهكذا الحال مع الشعراء الذين ارتبطوا منذ القدم بالتقليد المفسد للشاعرية المعروف باسم « شعر المناسبات » ويبدو أن سبب « تمسون » الكثيرين من هؤلاء واولئك يرجع الى الشـــعارات الماسونية البراقة فى الحرية والاخاء والمساواة ، وهى شـــعارات كانت تحلق فوق أرض تموج ــ وقتها ــ باســـتبداد الولاة العثمانين والنزعات والصـــراعات

الطائفية فى الشام بصفة خاصة ، مما أدى الى حماسة كثيرين من المثقفين ـ ومنهم الشعراء ـ للماسونية ٠

وبالرغم من التصنع الواضح فى الأبيات الشـــعرية الثلاثة التى مرت بنا فى مدح الخديو توفيق والماسونية ، فهناك شـــعزاء موهوبون كتبوا عن الماسونية بعد أن انخرطوا فيها وتأثروا بتعاليمها ٠٠ وابرز هؤلاء شعراء المهجر الأمريكى الشمالى جبران وأمين الريحانى وميخائيل نعيمة وايليا أو ماضى ٠ وقد تمسونوا بعد هجرتهم كنوع من الاحتماء ـ فى الغالب ـ من الغربة ، والحماية لأنفسهم كأقلية ، والاقتراب من المجتمع الجديد ٠

أما فى مصر فقد تمسون عدد من الشعراء منهم ولى الدين يكن التركى المهاجر وابراهيم اليازجى وخليل مطران ونعوم شقير المهاجرون من الشام ، فضلاً عن اسماعيل صبرى وحفنى ناصف ومحمود رمزى نظيم وحسين شفيق المصرى وأحمد زكى أبو شادى ٠ وقد ظهرت أســـماء هؤلاء فى قوائم أعضـــاء المحافل عبر مرحلة استقرار الماســـونية ، ولكنهم لم يســـتجيبوا جميعا للكتابة عنها شـــعرا ٠

واذا عدنا الى الحفل الذى أشارت اليه « المقتطف » قبل قليل فقد ألقى فيه ولى الدين يكن قصيدة استهلها بقوله :

ياعصر قد حسنتك اليوم اعصـــار
الأمر شـــورى وكل الناس أحرار

ومنها هذه الأبيات التى يســـتخدم فيها مفردات ورموزا ماسونية :

تنوع الخـــير مرئيا ومســـتمعا
فلتجتل الخـير اســماع وابصـــار

٠٠٠ هذا الاخاء بنا شدت اواصـره
تقســــمته قلوب فهو اشــــطار

يســـير من مهــج الى مهــج
فينا فتمضى الليالى وهو سـيار(٩٣)

والقى نعوم شقير ـ الأقل موهبة ـ قصيدة محييا نيازى بك احد اقطاب الانقلاب العثمانى فقال :

فتى الأحــرار لا تخشى الصــعابا
ولا تحســـب لنائبه حســـابا(٩٤)

واذا كانت هذه وتلك من قصائد المناســبات ، فقد شـــدت المناسبات الماسونية عددا آخر من الشعراء ابرزهم محمود رمزى نظيم واحمد زكى أبو شادى ٠

نشر نظيم عددا من قصائده الفصحى والشعبية فى صـــحف العشرينات الماسونية ٠ ومنها ابيات ارتجلها فى تهنئة الشيخ احمد مخلوف الذى انتخب سنة ١٩٢١ رئيسا لمحفل المروءة رقم ٢٠٣ ٠ وفيها يقول :

يامعشـــر الماســـون أنتم عصـــبة
الله تمم نــــورها وســـــناءها

تتعـــاونون لنشـــر كل فضـــيلة
اخفى الزمـان عن العيــون رواءها

ان المـــــروءة لا تزال مصـــونة
بين الورى ما دمتموا نصـراءها(٩٥)

وكان نظيم قد انضم الى هذا المحفل فى ٣ سبتمبر من ذلك العام ٠ اما أبو شادى فقد تحمس للماسونية خلال العشرينات أيضا

ربما لعلاقته الوثيقة بالشاعر خليل مطران ، وربما لأسباب أخرى • وانضم الى محفل فى بورسعيد فى الفترة ذاتها • وكتب قصيدة بعنوان « الماسونية » القاها أمام وفد من المحفل الأكبر كان قد جاء الى بورسعيد لتثبيت محفلها • ويستهل القصيدة بقوله :

باســـم الاخـــاء أحيى كل مأثرة
فيكم وانصـــاف مغبـــون ومظلوم

ويقول عن الماسونية بعد استخدام كثير من مفرداتها الشائعة :

لها المســـاواة نبراس كان بهـــا
سرا من الشمس فى وحى وتعميم(٩٦)

غير أن هذا الشعر الماسونى لم يستمر طويلا بعد العشرينات، وكأن فورته رافقت الفورة الماسونية خلال الحقبة ذاتها ، ثم هبطت بهبوطها •

(ب) الصـــحف :

يتبين من دراسة الصحف فى تلك المرحلة ، مرحلة الاستقرار أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية اهتماما عاما كان عددها عشر صحف بين يومية وأسبوعية وشهرية • ومع أن معظم هذه الصحف تفاوتت أعمارها بين القصر مثل « الفلاح » و « الصادق » والمتوسط مثل « اللطائف » و « النظام » فمنها صحيفتان عمرتا طويلا ، وهما « المقتطف » (٧٦ عاما) و « المقطم » (٦٤ عاما) كما يتبين أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية اهتماما خاصا ، أى تخصصت فيها ، كان عددها سبع صحف • وكانت أولى هذه الصحف المتخصصة « المجلة الماسونية » التى أنشأها يوسف لفلوفة فى الاسكندرية سنة ١٩٠١ ، وعهد بادارتها وتحريرها الى نقولا سابا • ولكن هذه الصحف السبع غلب عليها قصر العمر فلم تعش

اطولها عمرا أكثر من تسع سنوات ، وهى « الجريدة الماسونية » التى أنشأها نقولا سابا فى الاسكندرية سنة ١٩٠٣ · ومع ذلك امتدت هذه الصحف المتخصصة الى خارج القاهرة والاسكندرية ، حين أنشأ محمد سيف النصر مجلة « الاخاء » فى المنصورة سنة ١٩٣٠ ·

(أ) الصحف ذات الاهتمام العام :

كانت الماسونية تحظى فى هذه الصحف بقسط ملحوظ ، ولكنه محدود فى النهاية داخل اطار الاهتمامات الأخرى المتنوعة · ومع ذلك كانت تحرص على نشر اهم أخبار الحركة الماسونية واحداثها · وكان بعضها يتولى الرد على اسئلة القراء الخاصة بالماسونية · وتعد « المقتطف » من أبرز هذه الصحف التى كان يغلب عليها ـ فى الوقت ذاته ـ طابع التحيز · ولننظر هنا فى بعض ردود « المقتطف » على اسـئلة القراء لنرى الى اى مدى كان التحيز والدعاية والمحاماة :

١ ـ فى عدد ابريل ١٩١٧ ثلاث مواد ، فى باب كانت المجلة تسميه « المسائل » ، ردا على ثلاثة اسئلة من احد القراء (الخواجه ايلي بلتنر) من مصر عن فائدة الجمعيات الماسونية · وجوابه : « الغرض الأول من الماسونية التعاون على البر · فاذا قام أعضاؤها بما يطلب منهم ، وتعهدوا به عاشوا عيشة فاضلة ، وساعدوا بعضهم بعضا فى كل ماينفعهم ولايضر غيرهم» · أما السؤال الثانى فعن صحة انتظام ذوى المقامات فى الماسونية وسبب ذلك · وجوابه : «ذلك صحيح · وفى الماسونية مرغبات اخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم مثل الرتب والنياشين وحفلات الأنس · والملوك واصحاب المقامات اميل من غيرهم الى هذه الأمور · فلا عجب اذا اشـتركوا فى الماسونية · بل العجب اذا لم يشتركوا فيها » وأما السؤال الأخير

فمن قبول النساء فى الماسونية • وجوابه : « ان بعض الجمعيات الماسونية يقبل النساء بين اعضائها ، ولكنها قليلة • والغالب انها خاصة بالرجال »(٩٧) •

٢ ـ فى عدد مايو ١٩٢٦ مادة فى باب « المسائل » ردا على سؤال لقارىء من العراق حول حقيقة الماسونية • وجوابه : « هى جمعية تعاون لا تتعرض للدين ولا للسياسة • ولذلك ينتظم فيها الناس من كل الأديان •• وغايتها التعاون •• وهى تهتم باختيار اعضائها من فضلاء الأنام ، وتبقى اشاراتها سرية ، حتى لايستعملها اناس لا خلاق لهم فيفسدوا عليها عملها • ولما كان اكثر اعضائها من المتعلمين المتهذبين الذين لا يتسلط عليهم التدجيل شناها بعض المتجرين به ، وبعض رجال الأديان الذين توهموا انها مضادة لدينهم •• هذا ، وغنى عن البيان أن الماسون غير معصومين فى انتقاء الأعضاء ، ولكنهم يبذلون جهدهم كى لا يخدعوا ، ولا الماسونية تكفل تغيير الأخلاق الفطرية ، ولكنها تسعى الى ذلك جهدها بالبحث والمعاشرة »(٩٨) •

(ب) الصحف ذات الاهتمام الخاص :

كانت الماسونية تحظى فى هذه الصحف بنصيب الأسد ان لم يكن بمجموع الصحيفة • ومن الطبيعى أن تكون مثل هذه الصحف المتخصصة محدودة الجمهور والانتشار • ولهذا كان الطابع الغالب فى طريقة صدورها هو الصفة الشهرية ، ولم يكن منها سوى اثنتين نصف شهريتين ، وهما : « الجريدة الماسونية » التى اسسها فى الاسكندرية نقولا سابا سنة ١٩٠٣ ، و « الاخاء » التى اسسها فى القاهرة رحمين فرجون سنة ١٩٠٦ ، ولكن الأولى لم تستمر اكثر من تسع سنوات بين انقطاع وانتظام ، فى حين توقفت الأخرى بعد بضعة أشهر ، ولكن كان من هذه الصحف واحدة اسبوعية ، هى

« الاخاء » التى تحمل الاسم السابق ذاته • وقد أسسها فى المنصورة محمد سيف النصر سنة ١٩٣٠ ولم تستمر اكثر من عامين • بل انها لم تلتزم طويلا بالطابع التخصصى ، وتحولت بسرعة الى الصحف ذات الاهتمام العام • وكان ينطق باسم المحفل الاكبر من هذه الصحف : المجلة الماسونية ، الميثاق •

وباستثناء « الجريدة الماسونية » التى اتخذت شكل الصحيفة ذات القطع القريب من التابلويد حرصت الصحف الست الأخرى على اتخاذ شكل المجلة التى يتفاوت قطعها بين قطع « المقتطف » وقطع المجلات الأسبوعية المعتادة • ونظرا لتخصص هذه الصحف فقد كانت تحرص على نشر الأخبار والتفصيلات الصغيرة التى تضيق بها الصحف ذات الاهتمام العام •

من هذه الأخبار ما نشرته « المجلة الماسونية » فى سبتمبر ١٩٠٢ عن محفل « نوفا أوروورا » ، وهو اسم ايطالى معناه « الفجر الجديد » • يقول الخبر ذو التعليق :

« ساءنا ما وصل الينا من ان أحد اخوان هذا المحفل قد اباح لأحد الاخوان الغائبين عن احدى جلساته اسرار اعمال تلك الجلسة ومادار من الأقوال فيها بشأنه • فترتب على ذلك ان الأخ الذى استرق تلك الأسرار جاء مؤنبا احد المحترمين الذين كانوا حاضرين فى الجلسة ، وهو عضو فى المحفل ، ومنبه فيه ، على ما قاله بشأنه •• وقد اخبره بكل ما دار من المذاكرات فى المحفل • فعلم ان الذى اباح له ذلك هو أحد الاخوان الأساتذة • وترتب على ذلك تقديم استعفاء ذلك المحترم من عضوية المحفل ومن وظيفته ، بقوله انه لم يعد له ثقة بأن يبدى رأيا فى المحفل بشأن أى كان ، خشية اباحة اسرار الأعمال • وقد علمنا ان المحفل نظر لهذه المسألة بعين الأهمية • وعين لها لجنة للبحث والتنقيب • وسيحاكم ذلك الأخ الثرثار على ما بدر منه مما يخالف قانون العشيرة »(٩٩) •

واذا كان هذا الخــــبر التعليقى أو التعليق الخـــبرى يكشف عن حرص الماسونية على سرية ما يدور داخل جلســـات محافلها ، فقد حرصت الصحف الماسونية أيضا على نشر أوامر الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر ، واخبار تحركاته ومايهم الماسونيين من شئون • ومن ذلك ما نشرته « الجريدة الماسونية عن شـــروط قبول « الأجانب » ، أى غير الأعضاء ، فى الماسونية ، وهى اربعة : أن يبلغ سن ٢١ سنة الا اذا كان من أولاد الاخوان الأساتذة وعندئذ يجوز قبوله فى سن الثامنة عشرة ، وأن يكون سليم الجســـم خاليا من العاهات المعدية ، وأن يكون حاصلا على العلوم الابتدائية بقطع النظر عن اللغة الأجنبية ، وأن يكون ذا صفة شريفة ولديه من الوسائل مايكفى لعيشه بحيث يكون ايراده السنوى ١٢٠ جنيها على الأقل(١٠٠) • وهذه شروط عامة منقولة عن شروط الماسونية فى البلاد التى نشـــات فيها • وهى ان دلت على شىء فانما تدل على أن الماسـونية ليســـت ناديا أو منتدى مفتوحا بغير تمييز طبقى أو اجتماعى •

من الموضوعات التى نشرتها « الجريدة الماسونية » فى ذلك الوقت موضوع حول علاقة الماسونية بأمور الدين • ويتلخص فى أن أحد الاخوان (اسمه فارس افندى) من لبنان جاء الى مصـــر مبعوثا من « دولة المتصرف » هناك بغرض استمالة الرئيس الأعظم للماسونية المصـــرية ومحافلها لمساعدته « فى مقاومة الاكليروس اللبنانى وتجديد انتخابه على المتصـــرفية » ولكن محاولته لم تجد الترحيب طبقا للفقرة الرابعة من محضر الجلسة التى عقدها المحفل، وهى : « تمنع الماســـونية من اجتماعاتها منعا باتا كافة المداولات الدينية والسياسية » واختتمت الجريدة الموضوع بأن « الماسونية المصرية جمعية خيرية ادبية ولا عمل لها الا اعانة الفقير ومساعدة المحتاج »(١٠١) •

ولم تكن هذه الصحف المتخصصة تقتصر على الأخبار والتعليقات والموضوعات الماسونية · فقد كان شعار الجريدة الماسونية « جريدة اخبارية انتقادية حرة » وكان شعار المجلة الماسونية « مجلة ماسونية أدبية علمية اجتماعية تاريخية » وكان شعار مجلة الميثاق « مجلة ماسونية علمية ادبية فكاهية مصورة » ، وهكذا ·

ومع ذلك ظلت هذه الشعارات نوعا من الطموح الذى لم يستطع أصحابه تحقيقه ، وان كانت أعداد هذه الصحف لم تخل من مواد أدبية أو طرائف بصفة خاصة · فقد كانت « المجلة الماسونية » ـ على سبيل المثال ـ تنشر ـ من حين لآخر ـ قصائد لأدباء المهجر : جبران ونعيمة وابو ماضى والريحانى · وكان بعض هذه الصحف ، ولاسيما « الأخبار الماسونية » ، يخصص قسما باللغة الفرنسية · وكان القسم الفرنسى فى « الأخبار الماسونية » الذى حرره « الأخ الفارس » البير بزيات يكاد يكون الأصل فى المجلة ، فى حين أن القسم العربى فيها الذى حرره « الأخ الفائق الاحترام » اسكندر فرج و « الأخ المحترم » موسى جرونشتين كان اقرب الى الترجمة عن القسم الفرنسى · ومع ذلك نشرت شعرا ومقالات ومترجمات لمحمد الهراوى ومحمد بدران ومنصور فهمى وعلى الخفيف وشكيب أرسلان على امتداد أعدادها الثلاثة الوحيدة ·

كان من بين المواد المترجمة فى هذه المجلة التعريف الرسمى ـ كما تسميه ـ للمادة الأولى من قانون ١٠ أغسطس ١٨٤٩ الماسونى · وهذا نصها :

« الجمعية الماسونية جمعية خيرية فلسفية سيارة ترتكز على مبدأين عظيمين : المبدأ الأول الاعتقاد بوجود خالق الكون الأعظم · والمبدأ الثانى الاعتقاد بخلود النفس · وموضوعها التدريب على

الاحسان ، ودرس علم الأخلاق العام والعلوم والفنون ، وممارسة جميع الفضائل · وان شعارها فى كل زمان ومكان هو الحرية ·· والمساواة ·· والاخاء ·· »(١٠٢)

وعرفت المجلة الاله عند الماسونية بقولها :

« اله الماسون واحد عام غير مخلوق ، أبدى ، كلى القدرة ، عالم ، رؤوف ، خـــالق لكل ما يوجد بقوته القاهرة ، مدبر للعالم بحكمته ، يعامل عباده بالرأفة الأبوية ، منبع كل نور وعدالة ، انموذج الكمال ، يمتنع عن العقول أدراك ذاته ، ولايعرف الا بصفاته لهذا ترى الماسونيين يكتفون بالتعبير عنه بقولهم : مهندس الكون الأعظم »(١٠٣) ·

وعرفت الخلق الماسونى بقولها :

« الخلق الماسوني ليس كاثوليكيا ، ولا بروتســتانتيا ، ولا يهوديا ، ولا محمديا ، ولكنه عام »(١٠٤) ·

هذه المقتطفات تتردد بكثرة ـ وان كانت بعبارات اخرى ـ فى الكتابات الماسونية الفرنسية بصفة خاصة، وهى كتابات تحاول ـ كما رأينا ـ أن تضفى طابعا فلسفيا على الماسونية ، وان تربط هذا الطابع بشعار الثورة الفرنسية المشهور ·

ومن الطبيعى أن تهتم الافتتاحيات ،أو المقالات الافتتاحية ، فى هذه الصحف بالشؤون الماسونية · وفى بعضها تسجيل لكثير مما مر على الماسونية فى مصر من تطورات · ففى إفتتاحية العدد ٩ من السنة ٣ للمجلة الماسونية بعنوان « يضع القارىء عنوانها » يطرح المحرر قضية ماسونية خطيرة · فهو يبدأ بالحديث عن انتشار الماسونية فى مصر ، ولكن سرعان ما يدخل فى صميم القضية حين يقول : « يدخل فى العشيرة كل طامع بمساعدتها · فاذا لم تساعده

طمع بأموالها ، فاختلس ما تصل اليه يده وتسعه ذمته » وتلك ـ كما يقول ـ قضية من قضايا بشاعة الماسونية فى القطر المصرى · ولكن هناك غيرها « من نحو حب الرئاسة ، والتشامخ ، والتمسك بالرأى، والتدليس فى الوجوه ، والنميمة ، والوقيعة ، الى آخر ما يتسفل به السافل ويطاوعه ضميره الساقط » واختتم المحرر الافتتاحية بالاشارة الى الأمر الذى أصدره الأستاذ الأعظم ادريس راغب بالتحرى عن طالب الالتحاق فى قلم السوابق فى المحافظات والمديريات والقنصليات »(١٠٥) ·

لعل ما أشار اليه المحرر هنا يشكل فى الحقيقة قضية أخلاقية لم تنجح الماسونية فى مداواتها · واذا كان ما كتبه يرجع الى سنة ١٩٠٣ فقد مر بنا شىء من هذا التدهور الخلقى فيما حدث للأفغانى سنة ١٨٧٩ ، وفيما صوره هو نفسه فى الآستانة بعد ذلك · وسوف نرى بعد قليل كيف أدى هذا التدهور الخلقى الى انقسام الماسونية وصراع أصحابها سنة ١٩٢٢ ·

ولعله قد اتضح لنا الآن أن الفترة من ١٩٠١ الى ١٩٢٥ كانت فترة الصحافة الماسونية ـ بحق ـ فى مصر ، وعصرها الذهبى ، أى منذ صدور « المجلة الماسونية » سنة ١٩٠١ الى توقف مجلة « الميثاق » سنة ١٩٢٥ · وبعدها تدهورت الصحافة الماسونية المتخصصة حتى اختفت بعد سنة ١٩٣٢ ، ولم يعد للماسونية صوت اعلامى الا فى الصحافة ذات الاهتمام العام · ولعله قد اتضح لنا الآن ايضا أن الماسونية ـ فيما عرضناه من كتبها وصحفها ـ كانت فى أساسها بضاعة الأقلية غير المسلمة ، من المسيحيين الشاميين واليهود المستوطنين ، بالرغم من اقبال المسلمين على محافلها ·

النشـــاط الاجتمـــاعى :

ماذا كان نشـــاط الماسونية فى تلك المرحلة التى رفعت فيها شعار الخدمة الاجتماعية والبر والاحسان ؟

لقد استقرت الماسونية فى تلك المرحلة كما رأينا ، ووجدت من الحكام وممثلى الاحتلال التشجيع والمباركة ، وأصدر أنصارها كتبا وصحفا ، ونظم شعراؤها القصائد والأزجال ، وكثر عدد اتباعها وازدادت محافلهم ٠ واصبحت ملء السمع والبصر كما يقولون ٠ وبلغ من شهرتها عند الناس أن المسرح المزدهر فى تلك الفترة اهتم بها وقدمها لجمهوره ٠ ففى اكتوبر ١٩٠٧ قدمت فرقة عزيز عيد مسرحية باسم « الماسون » على خشبة دار التمثيل العربى ثم على خشبة « تياترو الشيخ سلامة حجازى » ٠ وكانت المسرحية فرنسية فى الأصل من نوع « الفودفيل » ، اى الكوميديا الخفيفة المصحوبة بالأغانى والموســـيقى ٠ وقد قدمت لأول مرة فى باريس فى سنة ١٩٠٥ ٠ وهكذا لم يكد يمضى على تقديمها هناك نحو عامين حتى ترجمت وقدمت فى القاهرة ٠ ومعنى هذا انه كان لها جمهور ٠ وفى سنة ١٩٢٨ التى كانت ذروة تلك المرحلة ـ كما رأينا ـ اعادت فرقة يوسف وهبى تقديم المسرحية على مسرح رمسيس واشـــترك فى تمثيلها مختار عثمان ومحمد عبد القدوس ، وتغير اســـمها الى « الماسونية » وكان ذلك فى شهر نوفمبر من تلك السنة ٠

وقد عرض الناقد المسرحى محمد توفيق يونس لهذه المسرحية، وذكر أن الماسونيين فى مصـــر وقتها ظنوا أنها تهاجمهم فاهتموا بأمرها ، واستعلموا عنها ، حتى من الناقد نفسه ٠ وتحدث عن الضجة التى اثارتها بسبب عنوانها ، وكيف كان الاسم سببا لاقبال الجمهور عليها ، « ظنا منه انه سيشاهد شيئا من اسرار الماسونية المزعومة وخفاياها الموهومة ٠ والحقيقة أن الرواية لا تتعـــرض

للماسونية بخير ولا شر ، وانما تتخذ من ادعاء بعض أشخاصها أنهم ماسونيون موضوعا لسلسلة من المواقف الفكهة والحوادث المضحكة »(١٠٦) ومن الواضح أن تقديم المسرحية مرتين على هذا النحو كان من قبيل الاستفادة من وضع الاستقرار والشهرة الذى حققته الماسونية فى تلك المرحلة ·

ومع ذلك لم يزد النشاط الاجتماعى للماسونية ، بصفتها جمعية خيرية ، على التبرعات والولائم والمساهمة فى المدارس واعانة الفقراء والمحتاجين ولاسيما من أعضائها او اسرهم · وهذه بعض الأمثلة :

١ ـ فى سنة ١٩٠٣ قرر المحفل الأكبر الوطنى مساعدة ابن الأخ المرحوم محمد الزرو ، وذلك بارساله الى المدرسة ، والانفاق على تعليمه سنويا بمبلغ ستة جنيهات · كما قرر اعتماد صرف مبلغ ٢٠ جنيها لأولاد الأخ المحترم دونيس الرئيس السابق لمحفل راغب عن سنة ١٩٠٣(١٠٧) · وفى الوقت ذاته اشترك محفل المقطم مع محفلى بدر حلوان واللطائف فى تربية عشرين تلميذا من فقراء مدينة حلوان وتعليمهم الصنائع المختلفة · وقام شاهين مكاريوس بتعليم بعضهم فى مطبعة « المقتطف » · وتعهد الثرى اليهودى سوارس صاحب سكة حديد حلوان بتسفير التلاميذ ، ذهابا وايابا ، دون مقابل(١٠٨) ·

٢ ـ فى سنة ١٩٠٧ أقام محفل الصدق الماسونى حفلا فى دار التمثيل العربى ، خصص ايراده لمشروع الجامعة المصرية ، والقى فيه الشاعر حافظ ابراهيم قصيدة مطلعها :

ان كنتم تبـــذلون المـــــال عن رهب
فنحن ندعوكم للبــذل عن رغب(١٠٩)

٣ ـ فى سنة ١٩١١ نشرت مجلة « المنار » نقلا عن مراسل « المقطم » فى الاسكندرية أن « نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعون فى انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد »(١١٠) ويبدو من هذا الخبر الذى قصد به الاساءة للماسونية أن المشروع لم يتحقق ٠

٤ ـ فى سنة ١٩٢١ اقام المحفل الأكبر « وليمة ماسونية » تكريما لكل من « حضرة الأخ كلى الاحترام صاحب السمو الأمير محمد علي استاذ اعظم شرف للمحفل الأكبر الوطني وحضرة الأخ فائق الاحترام صاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى »(١١١) وفى السنة ذاتها تبرع محفل صدق الوفا رقم ٢٠٤ بالقاهرة بمبلغ خمسة جنيهات لاعانة منكوبى حرب الأناضول(١١٢) ٠

لم يتجاوز النشاط الاجتماعى الماسونى المظاهر السابقة على اى حال ، وهى مظاهر لا تجعله متفردا فى عصره ، ولا تضفى عليه مكانة من نوع خاص ٠ واذا كان هذا النشاط مطلوبا بحكم القانون الماسونى السابق ذكره فقد كان محدودا بوجه عام ٠

التطورات السلبية :

يمكن أن نعد التطورات السابقة جميعا تطورات ايجابية خدمت الماسونية ودعمت استقرارها فى تلك المرحلة ٠ ومع ذلك شهدت الماسونية بعض التطورات السلبية التى اثرت فى مكانتها وأدت الى تمزقها وتفتتها ، ولا سيما خلال المرحلة التالية ٠ ويمكن أن نجمل هذه التطورات فى ثلاثة هى : الهجوم المضاد ، التورط السياسى ، الانقسام ٠

(أ) الهجوم المضاد :

لم تجد الماسونية أرضا مفروشة بالسجاد على الدوام فى

مصر منذ دخولها • فقد كانت الأشواك تهدد مسيرها فى كثير من الأحيان ، ولاسيما فى مرحلة الاستقرار هذه وما تلاها • وتمثلت هذه الأشواك فى الهجوم المضاد الذى واجهته بين حين وآخر • وبالرغم من ان هذا الهجوم كان محدود الانتشار ، لا يلقى أى عناية من الصحف التى يصـــدرها الشـــاميون المسيحيون ، بما فيها « الاهرام » ، فقد ظل قائما يجد متنفسا له فى الصحف ذات الاتجاه الاسلامى مثل مجلة « المنار » والصحف ذات الاتجاه الليبرالى مثل جريدة « السياسة الأسبوعية » وكثيرا ما كان هذا الهجوم يبدأ من نقطة التغلغل اليهودى فى الماسونية •

ومن ابرز ما كتب فى هذا المجـــال مقال بعنوان « الخطر اليهودى » لمحمد عبد الله عنان ، نشرته « السياسة الأسبوعية » فى يوليو ١٩٢٨ • وفيه تحدث الكاتب عن خطر اليهود وما يسميه هؤلاء « خصومة السامية » ، اى العداء للجنس السامى • واشار الى ما تعرض له حين أصدر كتابه « تاريخ الجمعيات السرية » من الحملات العديدة فى الدوائر والصحف اليهودية فى مصر وغيرها • وكان قد تناول فى هذا الكتاب تاريخ الجمعيات الماسونية ، وتغلغل اليهود فيها • ثم أشار الى اعراض هذا الخطر وكيف أنها تتمثل فى المحاولة الخفية المنظمة لاستعباد العالم ومحو كل دين عدا اليهودية• وقال : « ان فكرة فوز اسرائيل على أمم الأرض جميعا مازالت تتقد فى صدور بنى اسرائيل ، وتتخذ فى عصـــرنا نوعا من العقيدة المقدسة ، حتى فى أذهان المتنورين والأحرار من مفكريهم »(١١٣) •

فى الأسبوع التالى نشرت « السياسة الأسبوعية » تعليقا على هذا المقال لمحمد كامل حسن من مدينة الزقازيق بعنوان « الخطر اليهودى أيضا : البناية الحرة فى مصر » وفيه أيد الكاتب ما جاء فى المقال السابق عن « وجوه الخطر الماحق الذى ســـوف يداهم

العالم يوما ما ، والعالم يسبح فى جو الخيال ، تاركا قادة اليهود يعملون في الخفاء دون أن يثيروا الريب والشكوك بعملهم هذا تحت ستار جمعيات الاخاء التى يسمونها البناية الحرة ، ثم اضاف المعلق أنه بدأ حياته الماسونية منذ خمسة أعوام تقريبا · فقد دخلها باغراء الدعاية لها فى التضحية وخدمة الانسانية ـ كما يقول ـ ولكنه لم يعثر الا على نقيض تلك « المبادىء الغرارة الفاتنة » · بل وجد أن « أغلبية تلك الفئة (الماسونية) هم اليهود وهم الذين يقودون العشيرة تحت هذا الستار الخلاب » ، وأن الماسون هم أظهر القرائن واقواها على وجود الخطر اليهودى · واختتم تعليقه بأن « هناك من الأسرار الخفية مالو أذيع لروع العالم واخطأ التقدير فى حكمه، وأمسى يرى تلك الفئة بالعين المجردة انما تعمل لهدم بقية الأديان دون دينهم » ووعد بالتكاتف لفضح الماسون واليهود(١١٤) ·

وبالرغم من أن عنان والمعلق على مقاله لم يعودا الى الموضوع بعدها ، ولم يف المعلق بما وعد ، فقد انصرفت الجريدة عن الخوض فى الموضوع ، ونشرت فى أعقاب ذلك ما يشبه الاعلان عن براءة الماسونية مما نسب اليها · ومع ذلك ظل هذا المقال والتعليق عليه أعلى مظاهر الهجوم المضاد واكثرها جدية فى تلك المرحلة ·

(ب) التورط السـياسى :

لعلنا لمسنا الحاح الماسونية ، من الناحية النظرية على الأقل، على عدم التورط فى السياسة أو الدين · ومع ذلك لم تنج الماسونية فى مصر من هذا التورط ، لا فى المرحلة السابقة ـ مرحلة التأسيس ـ كما رأينا ، ولا فى هذه المرحلة التى رسخت فيها واستقرت أمورها · وقد تدرج التورط فى هذه المرحلة من الاحتجاج على نفى سعد زغلول ومناشدة الملك فؤاد التدخل لاطلاق سراحه

- كما مر بنا - الى مناشدة اهل فلسطين التزام الهدوء والسكينة ومشاركة اليهود فى بناء الوطن المشترك ٠

أما الاحتجاج على نفى سعد ومناشدة الملك التدخل لاطلاق سراحه فيبدو أن الموجة العارمة فى البلاد وقتها ضد الانجليز وتصرفاتهم هى التى دفعت « السلطة الماسونية » الى اعلانه ٠ فقد قدم عبد المجيد يونس - كاتب السر الأعظم فى المحفل الأكبر - ذلك الاحتجاج بكلمة عنوانها « الماسونية والحالة الحاضرة » ، أشار فيها الى مارددته الصحف وقتها (يناير ١٩٢٢) عن سكوت المحفل الأكبر ازاء ما يحدث فى البلاد ، وصمته عن الاحتجاج على أعمال السلطة العسكرية ٠ وأضاف :

« ان من عادات الماسونية ، بل واجباتها أن تعمل فى الخفاء ولا تعلن أعمالها ، ولكن حيث أنه مطلوب من المحفل الأكبر بالحاح أن يعلن ما فعله فى الظروف الحاضرة فانى أرسل لحضرتكم (يقصد مدير المجلة الماسونية) صورة من الاحتجاج الماسونى الذى سبق رفعه للشروق العظمى والمحافل الكبرى الماسونية ٠ وقد وقع هذا النداء الأستاذ الأعظم ادريس »(١١٥) ٠

وأما مناشدة أهل فلسطين التزام الهدوء ومشاركة اليهود فى بناء الوطن المشترك فله قصة طريفة ٠ وتتلخص هذه القصة الطريفة فى أن حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية توقع وانصاره فى مطلع سنة ١٩٢٢ أن يقوم عرب فلسطين - كعادتهم - بأعمال عنف ضد اليهود أثناء احتفالاتهم بمولد نبيهم موسى ، فطلب من ممثل المنظمة فى القاهرة العمل على توجيه بيان من بعض أهل الثقة فى مصر الى عرب فلسطين لحثهم على التزام الهدوء أثناء تلك الاحتفالات التى يشهدها يهود من مختلف بلاد العالم ٠ وتوصل

مندوب المنظمة عن طريق احمد زكى باشا مدير دار الكتب (« شيخ العروبة » فيما بعد) الى طريقة لاصدار هذا البيان عن رئاســة الماسونية فى مصر ، التى يمثلها المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، مقابل الف جنيه ٠

لقد نجحت المحاولة الصهيونية بالفعل ، وأصدر المحفل الأكبر البيان المطلوب بتاريخ ٢ ابريل ١٩٢٢ ، وهو موعد سابق على موعد احتفالات المولد ٠ ووقعه ادريس راغب الأستاذ الأعظم للمحفل وهيئة مكتبه ٠ وكان بعنوان « نداء الى اهالى فلسطين » من « المحفل الأكبر الوطنى المصرى للبنائين الأحرار القدماء المقبولين » وقد كتب بصيغة خطابية ، ووجه الى جميع فئات فلسطين وطوائفها كباراً وصغارا ، رجالا ونساء ٠ ودعا الجميع الى افساح المجال لليهود فى سبيل فائدة الوطن المشترك وعظمته ، وتوفير أسباب الســلام والوئام والتسامح وحقن الدماء ٠ وخص عرب فلسطين بالعمل على تحقيق هذه المطالب ٠ وعد كلماته ممثلة لمصر ، الشقيقة الكبرى ٠ (راجع نص النداء فى الملاحق) ٠

ويبدو أن هذا النداء وصــل أهل فلســطين عن طـريق المنشورات لا الصحف ٠ ثم مالبثت الصحف فى مصر أن أشارت الى وصوله الى أيدى الفلسطينيين ٠ وعندئذ نشرت جريدة «النظام» النص الكامل للنداء تحت عنوان « العشيرة الماسونية والمحفل الأكبر الوطنى المصــرى » ومع أن الجريدة كانت من الصــحف المهتمة بالماسونية ، وكان صاحبها ومحررها سيد على الحريرى ماسونيا فقد وقعت الموضوع بتوقيع « ماسونى متألم » ، وأغلب الظن انه هو نفسه صاحبها ومحررها ٠ وقد استهل الموضوع بقوله :

« الجمعية الماسونية جمعية خيرية تقوم على مبدأ مساعدة الضعفاء والمساكين ، والدفاع عن الحرية ، والانتصاف للمظلوم ٠

ولم نكن نعرف انها جمعية سياسية تتداخل فى امور الشعوب ، وتتصرف فى شؤونها ، وتدعوها للاستسلام لمغتصبى حقوقها الا اليوم ، عندما قرانا الرسالة التى نشرتها زميلتنا « الأهرام » الغراء من يافا ، وهى تتضمن الرد على المنشور الذى ارسله المحفل الأكبر الوطنى المصرى الى اهالى فلسطين يدعوهم الى الاستسلام للصهيونية وتركها تعمل ما تشاء فى بلادهم ، ويطلب ان لا يتعرضوا لها فى اغراضها القومية »(١١٦) ٠

ثم ابدى المحرر دهشته من تدخل المحفل على هذا النحو ، وكيف « كان يأبى ان يبدى رأيه فى المسالة المصرية ، مدعيا ان الجمعية الماسونية جمعية خيرية لا دخل لها فى السياسة ٠ وكانت دهشتنا اكبر لأن تلك الدعوة التى ارسلها المحفل الأكبر الى اخواننا اهالى فلسطين كانت مرســــلة باسم الأمة المصرية التى تطالب بحريتها » وابدى لومه الشديد لما حدث من المحفل ، ثم تلاه بنص المنشور كاملا ٠ وعقب عليه بما رد به محفل يافا من الاحتجاج والاستنكار ٠ واختتم التعليق بعبارة : « فهل لا يرى المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى هذا الكلام مايخجل ؟ كفى »(١١٧) ٠

ولم يكن محرر « النظام » يعلم ـ فى الغالب ـ قصة الضغط الصهيونى من اجل الحصول على هذا النداء ٠ فهذه القصة كشفتها اوراق وايزمان ورسائله التى جمعت ونشرت سنة ١٩٧٧ ٠ ولكن يتبين من تقديمه للموضوع انه كان على علم بجانبها المتعلق بممثل المنظمة الصهيونية فى القاهرة ، وجهوده فى هذا السبيل :

لم يكن فى النداء دعوة صريحة لقبول الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، ولا اعتراف بحق اليهود فيه ، وانما كان فيه الحاح على فكرة « الوطن المشـــترك » ، وهى ذاتها الفكرة التى روجتها الصهيونية فى مصر وقتها ، حتى تجد عن طريقها منفذا الى البقاء

والنشاط داخل القاهرة والاسكندرية · ومع ذلك كان النداء جريئا ، لا فى كلماته وحدها ولكن ف ىتوقيته أيضا · فقد استقر الانجليز على وعدهم الذى أعلنه وزير خارجيتهم آرثر بالفور سنة ١٩١٧ · وبدأت الصحف الوطنية فى مصر فى اثارة القضية · ولم ينتظر كبير الماسونيين حتى ينجلى الأمر ، فظهر بمظهر الملكى أكثر من الملك · واذا كانت طبيعة مواقف ادريس راغب السابقة من الانجليز كفيلة باصدار نداء كهذا ، فقد كان من الطبيعى أن يثير النداء أزمة خطيرة داخل صفوف الماسونيين ، ومعركة فى الصحف المصرية والفلسطينية على السواء ·

وما هى الا أيام حتى ظهرت ردود الفعل من جانب الماسونيين انفسهم · فقد أعلن محفل ممفيس التابع للمحفل الأكبر الايطالى انه يدعو جميع الماسونيين باسم الماسونية العامة الى جلسة يوم ٢٩ ابريل ١٩٢٢ لمناقشة النداء السابق وعلاقته بالواجب الماسونى ويرحب « بآراء الباحثين فى الموضوع بحرية تامة ، بلا التفات الى تابعية المتكلم لأى شرق من الشروق ، مع مراعاة المصلحة الماسونية العامة » وجاء ذلك فى صورة دعوة وزعها المحفل بتوقيع أستاذه « ميخائيل بشارة داود »(١١٨) ·

قبل يوم واحـــد من انعقاد هذه الجلســـة كان ادريس راغب والموقعون معه على النداء السابق قد تراجعوا عن موقفهم ، فاصدروا بيانا الى أهل فلسطين استهلوه بالاشارة الى ما أحدثه نداء المحفل الأكبر الوطنى المصرى من « سوء تفاهم يوجب الأسف » وأنكروا أنهم أرادوا بندائهم « مصادمة عواطف الفلسطينيين » ، وانما أرادوا عدم حدوث شغب أثناء مولد النبى موسى الكليم · أما وقد مر المولد بسلام فيبقى للفلســـطينيين الحرية التامة فى قبول ادماج الصهيونيين الوافدين من الخارج أو رفضهم · (راجع نص البيان فى الملاحق)(١١٩) ·

ومع أن هذا البيان الاعتذارى لم ينشـــر فى مصر الا فى الخامس من شهر مايو ، أى بعد نحو ثلاثة أسابيع على نشر النداء الأول ، فقد كان حذرا فى تناوله لموضوع الصهيونية ومحايدا فى موقفه منها · اذ يقول : « أما الصهيونيون الذين يفدون من الخارج ويســـتوطنون فلسطين فللفلسطينيين أنفسهم الحرية التامة فى أن يحكموا اذا كانوا يقبلون ادماجهم فى العنصر الفلسطينى من عدمه » ولكن يبدو أن قصة الضغط الصهيونى على المحفل كانت قد تسربت الى الكثيرين · اذ يقول البيان فى ختامه ان المحفل يبرأ أن يكون ألعوبة فى أيدى غرض أو شخص ، « لأنه لم يقدم على نشر النداء الا حبا فى أن يرى السلام سائدا بين جميع العناصر التى تتألف منها الأمة الفلسطينية الكريمة » ·

لقد جاء « النداء » مطولا ، متحمسا ، متعاطفا مع اليهود والصهاينة على السواء برغم عزفه على نغمة الوطن المشترك · ولكن « البيان » جاء اعتذاريا حذرا بما لايتناسب مع الموضوع أو الغرض ومع ذلك جاء الاثنان تعبيرا عن التورط الذى واجهته الماسونية فى تلك المرحلة · ولولا دعم الانجليز لها ، وانشغال الحركة الوطنية عنها بقضية الاستقلال ، لواجهت هجوما من الخارج ، أى من خارج صفوفها · ومع ذلك ايضا ، جاء هذا الهجوم من الداخل ، أى من داخل صفوفها ، حين اشتد الصراع بين أهلها ، على أثر أزمة التورط الخطيرة · ونجم عن هذا الصـــراع انقســـام فى صفوفها ·

(جـ) الانقســـام :

من الواضح ـ مما نشرته الصحف فى تلك الفترة ـ أن هذا التورط التطوعى المأجور من جانب المحفل الأكبر ورئاسته أحدث لغطا كبيرا داخل المحافل وصفوف أعضائها · ومن سوء حظ رئاسة

المحفل الأكبر أن تورطها جاء فى وقت اشتد فيه ســاعد الغليان الوطنى ضد الانجليز فى أعقاب نفى سعد زغلول ورفاقه ، واستعد فيه ادريس راغب للدخول فى انتخابات المحفل السنوية التى اعتاد الفوز فيها منذ تنصيبه أستاذا أعظم سنة ١٨٩١ • ويبدو أن عناصر ماســونية كثيرة بدأت فى التحرك فى الخفاء ، وأن عملية تمرد واسعة جرت خلال الأشهر القليلة التالية • وداخل هذا الاطار بدا اسم الأمير محمد على ، ولى العهد ، فى اللمعان كبديل لراغب •

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢ عقد المحفل الأكبر فى مقره بشارع نوبار بالقاهرة جلسة لاجراء الانتخابات ، ولكن الجلسة امتلأت بالأجانب ، أى غير المنتمين للماسونية ، وحدث هرج ومرج ، خرج على أثره ادريس راغب غاضباً ومؤجلا للانتخابات • ولكن المتمردين استمروا فى التداول بعد انصرافه ، ثم أجروا انتخابات فاز فيها الأمير محمد على بمنصب الأستاذ الأعظم •

لم يقف ادريس راغب مكتوف اليدين ازاء ما حدث • فقد أسرع فى الثالث من اكتوبر بعقد جلسة أخرى فى مقر المحفل ، وأعلن فيها عدم اعترافه بمشروعية الانتخابات التى جرت فى غيابه، وتحدث عما حدث فى الجلسة السابقة من فوضى مدبرة شارك فيها بعض الأجانب مما اضطره الى تأجيل عملية الانتخاب • ثم قام باجراء الانتخاب ، فكانت نتيجته فوزه بمنصب الأستاذ الأعظم وفوز بعض أنصاره من اليهود بمناصب رئيسية ، مثل سلمون جولدشتين الذى اختير « أمين خزينة اعظم » ، أى أمين صندوق ، والبرت بزيات « مرشد أول أعظم » كما أجرى جرد لصــندوق الخيرات بالمحفل ظهر منه أن الصندوق لا يحتوى الا على جنيه واحد وثمانمئة وستين مليما(١٢٥) • وطالب راغب بوقف كثيرين من الاخــوان ومحاكمتهم على ما اقترفوه فى حق المحفل ورئاسته • وكان هؤلاء هم أبطال حركة التمرد التى نصبت ولى العهد • وأضاف راغب أن

الاجتماع السابق غير مشروع ، وأن محمد على نفسه لا حق له فى الترشيح أو الفوز ، لأنه لم يكن عضوا عاملا بالمحفل ، ولم يسبق انتخابه رئيسا لأى محفل ، ولا فى منصب عال بالمحفل الأكبر ذاته ٠

ولم يكتف راغب بهذه الاجراءات ، بل اصدر أوامره بوقف بعض أعضاء المحفل الأكبر ، وكذلك بعض المحافل التابعة له ٠٠ وانذر محمد على ببرقية فى ٩ أكتوبر وخطاب فى اليوم التالى ٠ ثم اصدر امرا بأيقافه عن الأعمال الماسونية تمهيدا لمحاكمته ٠ كما أوقف عددا من الأعضاء اليهود المتشيعين للأمير ، وهم : صامويل ليفى ، شنطوب ليفى ، ايلى حتويل ، ماركو كوهين ، موريس دانا ، ايزاك كروب ، شالومه لزرع ٠ واعلن ان هؤلاء سيقدمون للمحاكمة، ثم اصدر منشورا لعموم المحافل الماسونية حول الموضوع ، واخطر المحافل الأجنبية بما حدث ٠

ارجع راغب السبب فى هذا التمرد الى انه أوقف بعض الاخوان لارتكابهم مخالفات ماسونية ، واعلن عن تقديمهم للمحاكمة خلال اشهر الصيف ، ولكنهم تآمروا عليه ، واوعزوا الى الأمير محمد على بالتقدم والترشيح لمنصب الأستاذ الأعظم ، ثم تجمهروا داخل مقر المحفل جالبين معهم عدداً من « الأجانب » ، وارغموه (راغب) على سحب أوامر ايقافهم ٠ ولكن راغب لم يذكر قصة النداء كسبب للتمرد ٠ ومن الواضح أن قادة التمرد كانوا هم انفسهم الأعضاء اليهود الذين ذكرنا أسماءهم ٠ ويبدو أن الخلاف بينهم وبينه كان بسبب « البيان » الذى حاول فيه تخفيف وقع ندائه السابق ٠

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ٠ فقد تطورت الأمور بعد ذلك بطريقة درامية ٠ اذ رفع راغب دعوى مستعجلة ضد المتمردين ، وصدر حكم فيها فى ٢٨ اكتوبر يقضى بتعيينه حارسا قضائيا على المحفل لحين الفصل فى النزاع ٠ ولكن محمد على وانصاره عدوا

الحكم باطلا فى شكله وموضوعه · وقام عدد منهم بالاستيلاء على اوراق المحفل ، ومن بينها نصوص المعاهدات التى عقدها راغب مع الشـــروق الأجنبية · وفى الوقت ذاته تحالف الموقعون على نداء المحفل وبيانه السابقين ضد راغب ، وانضموا الى محمد على ·· وبدات سلسلة من التحرش بين الفريقين · واصبح المحفل الأكبر ذا هيئتين ، واحدة برئاسة محمد على والأخرى برئاسة ادريس راغب · وتجمع انصار الأول فأصدروا مجلة « الميثاق » فى ١٥ مايو ١٩٢٤ بعد أن توقفت « المجلة الماسونية » التى اصدرها راغب ·

لقد حدث الانقسام على اى حال · وبدا انصار محمد على يتحدثون عن خصومهم مستخدمين تعبير « فريق الخوارج » كما سماهم عبد المجيد يونس كاتب السر الأعظم (الأمين العام) للمحفل الذى شغل منصبه فى العهدين(١٢١) · وبدا انصار ادريس فى الكيد لخصومهم · ومن ذلك أنهم ابلغوا السلطات ان المحفل الذى يرأسه محمد على يعقد اجتماعات سياسية ، وانه اقام حفلا فى ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ القيت فيه كلمـــات وخطب معادية للملك · وحققت النيابة العامة فى البلاغ ، واكتشفت ـ كما يقول يونس ـ أن المحفل الأكبر الوطنى المصرى « بعيد عن الاشـــتغال بالأمور السياسية ، وان القصائد والخطب التى القيت فى تلك الحفلة تضمنت الدعاء وشعائر الاخلاص والولاء للمقام الأعلى ولولى العهد الكريم كما ذكر ذلك بجريدة « المقطم » مفصلا »(١٢٢) · وعلى مدى عام بعد ذلك ظل التراشق والكيد بين الفريقين قائمين · وحاول انصار محمد على وضع حد لهذا ، فاصدروا المنشورات والبيانات طالبين من الكتاب من ابناء العشـــيرة عدم الخـوض فى الخـــلافات القـــائمة بين الفريقين(١٢٣) · ومع ذلك انتهت الأزمة باستقرار رئاســـة المحفل للأمير محمد على ، وخروج ادريس راغب ملوما محسورا ·

يقول حنا أبو راشد ـ أحد الشـاميين الذين عاصـــروا تلك المرحلة ونشطوا خلالها ـ مصورا ما حدث :

« فى عام ١٩٢٢ أسر الوشاة فى أذن الملك فؤاد أن البرنس محمد على ولى العهد سيتولى الأســتاذية العظمى للمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ويسنده الأخ عبد المجيد يونس السكرتير الأعظم، حتى اذا تمكن استولى على عرش مصر بحراب الانجليز ، فطلب الملك من ادريس راغب أن يرشح نفسه ، يناصره محمد رفعت بك ٠ ولم يحن تاريخ الانتخاب حتى حشد الفريقان مئات من الموظفين والأعيان فى صفوف الناخبين ، وهم لا يفقهون من الماسونية الا اسمها ٠ وهذا الجهل دفعهم الى حرم الهيكل وخزائن السكرتارية ، ونثروا أوراقها بعد احراقها ٠٠ وبين صفوف الثائرين صعد محمد على على عرش الأستاذية » ٠

ويستطرد أبو راشد قائلا :

« وبعد انشقاق المحفل الأكبر المصرى على نفسه بصـــورة مستهجنة خرج جماعة من زعماء الماسونية ، ومنهم الاخوان حسن نشأت باشا والسيد على باشا ومحمد رفاعة بك ومحمد رفعت بك ، وأحيوا « الشرق الأعظم المصرى » برئاسة الأستاذ الأعظم ادريس بك راغب ، واتخذوا له مكانا فى عمارة مانوزاردى ، وضموا اليه جملة محافل ، ثم نودى بالأخ محمد رفاعة بك أستاذا أعظم ومحمد رفعت السكرتير الأعظم ٠ وذلك بعد وفاة ادريس بك راغب الذى ضحى بماله وفكره فى سبيل المحفل والشرق الأكبر » ٠

ويستطرد مرة أخرى :

« ولم ينحصر هذا الانشقاق بداخلية المحفل الأكبر ٠ بل تعداه الى أنحاء الشرق الأوسط ، حيث أن جميع المحافل كانت تشتغل

تحت رعاية المحفل الأكبر الوطنى المصرى · فمنها من تبع الشـــرق الأكبر الذى يرأسه ادريس راغب ومنها من تبع المحفل الأكبر الذى يرأسه البرنس محمد على »(١٢٤) ·

ولما تفاقم الانشقاق تألفت لجنة عام ١٩٣٤ ـ كما يقول أبو راشد ـ بهدف اصلاح المحافل ورأب الصدع فيها · وتكونت اللجنة من خمسة ماسونيين هم : أبو راشد (رئيس محفل أمير الصعيد) ومحمد فاضل (باشا) وفريد قسيس (رئيس محفل عمانوئيل) ومصطفى حلمى عزب ، وعبد السلام فهمى (بك) · وقد نجحت هذه اللجنة فى مهمتها كما يقول صاحب الرواية · ولما شغر منصب الأستاذية العظمى بوفاة محمد رفاعة عرض المنصب على أحمد ماهر (باشا) فقبله وانتخب أستاذا أعظم(١٢٥) · وظل يشغل هذا المنصب حتى مصرعه عام ١٩٤٥ · وفى عام ١٩٥٠ تولى فؤاد سراج الدين (باشا) الأستاذية العظمى حتى قيام الثورة ·

غير أن هذه المرحلة كلها انتهت مع قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ · وكانت الماســـونية ـ كما رأينا ـ قد فقدت الـكثير من احترامها ، حتى عند بعض أنصارها · وكان للتطورات الســـلبية أثر فى فقدان هذا الاحترام · ولم ينجح زعيمها محمد على وخلفاؤه فى أن يقوها شر التورط فى الســـياسة بعد أزمتها الخطيرة عام ١٩٢٢ · فقد ظلت تتدخل فى قضية فلسطين ، ولاسيما فى السنوات ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ التى شهدت ثورات الجهاد الفلسطينى · وكان أبرز مظاهر التدخل اذاعة المنشـــورات بغرض التوفيق بين العرب واليهود ، وارسال الوفود الى فلسطين للسعى من أجل هذا التوفيق · وبسبب هذا كله وقعت السلطات الماسونية فى مصر فى صراع دائم مع اللجنة الفلســطينية العربية ورئيســها محمد على الطاهر · ولم يتوان الرجل عن فضح الأهداف الماسونية ووسائلها عن طريق الكتابة الى الصحف ·

● الفصل الثالث

مرحـلة الانقـراض

كانت المرحلة الأخيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٤) من مراحل الماسونية فى مصر اقصر واخرس من المرحلتين السابقتين · ولكنها تميزت ببعض التغيرات الجوهرية التى اثرت فى مسار الماسونية وحركتها· واهم هذه التغيرات ظهور اسرائيل ، وهجرة أعداد كبيرة من اليهود اليها أو الى غيرها ، وقيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتغييرها الشامل لوجه الحياة فى البلاد ، وجلاء الانجليز فى يونيو ١٩٥٤ · وبهذه التغيرات الثلاثة فقدت الماسونية مســـاحة كبيرة من الأرض التى تقف عليها · ومن خلالها انطلق الكتاب فى التأكيد على الربط بين الماسونية والصهيونية الذى ظهرت بوادره فى المرحلة السابقة · ومرت الماسونية بثلاثة تطورات أساسية :

أ ـ ازدياد الدعاية المضادة ·

ب ـ الانكماش التدريجى للمحافل ·

ج ـ اهمال الدولة ·

وفيما يلى نناقش كل تطور من هذه التطورات الثلاثة على حـــدة :

(أ) ازدياد الدعاية المضـــادة :

لم تشهد المرحلتان السابقتان ـ مرحـــلة التاسيس ومرحلة

الاستقرار ـ دعاية مضادة مثلما شهدت فى هذه المرحلة • وقد انصبت هذه الدعاية المضادة على صلة الماسونية بالصـــهيونية • ومهما دافع أصحاب الماسونية فى أوربا عن حيادها فى هذا المجال فقد قدم أصحابها فى مصر ـ فى سنة ١٩٢٢ ـ وقودا مهما لاشتعال هذه الصلة ، وهى صلة اقل ما يقال عنهاـ فى ضوء ما مر بنا ـ انها جاءت نتيجة تشكيل اليهود مر كزقوة فى المحافل ، وتســـلل الصهاينة منهم داخل صفوف الماسونية لاستغلالها على النحو الذى حدث • ومهما كانت براءة ادريس راغب ، وحســـن نيته فى تأثره بالضغط الصهيونى ، فليس من الممكن اعفاؤه من مسؤولية مساعدة الصهيونية والانقياد لرغباتها • ولو كان الأمر أمر تهدئة الخواطر فى فلسطين وقتها ، حتى يمر مولد النبى موسى بسلام ، لما احتاج هذا الأمر الى تلك الديباجة الطويلة ، أو الزج بفكرة الوطن المشترك التى كان الصهاينة فى مصر يروجونها فى صحفهم ، فى سبيل كسب عطف المصريين على قضية اضطهاد اليهود •

لقد ظهر فى المرحلة السابقة نحو ٢٦ كتابا مؤلفا ومترجما عن الماسونية لم يكن بينها سوى كتاب واحد ضدها ، وهو كتاب « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » لمحمد عبد الله عنان • ومع ذلك فهذا الكتاب ذاته لم يقتصر على الماسونية ، وانما تناولها ضمن الجمعيات الســـرية الأخرى ، ولم يظهر فى المرحلة الأخيرة عنها سوى كتابين دعما العداء لها ، وهما : الصـــهيونية والماسونية لعبد الرحمن سامى عصمت ، الجمعية الماسونية : حقائقها وخفاياها لأحمد غلوش • ولكن الكتابين لم يكتبا بطريقة علمية مقنعة ، وانما غلب عليهما الانشاء والتعميم والتحيز •

واذا كانت الصحف الماسونية المتخصصة توقفت قبل بداية هذه المرحلة فقد بدأت الصحف ذات الاهتمام العام فى نشـــر الدعاية

المضادة للماسونية خلال هذه المرحلة الأخيرة . كما بدأت الصحف التى تمادت فى تأييدها للماسونية فى التراجع عن موقفها مثل « المقتطف » ، أو التخفيف من التمادى مثل « المقطم » .

لقد كانت « المقتطف » ـ كما رأينا ـ اقرب الى المنبر النظرى للدعوة الماسونية . ولكنها ظهرت فجأة بموقف مضاد تماما فى مارس ١٩٥٠ . ففى عدد ذلك الشهر نشرت مقالا دون توقيع بعنوان « فضائل الماسونية : لا حرية ولا اخاء ولا مساواة » فى هذا المقال تتلخص الدعاية المضادة خلال المرحلة على نحو اقل غوغائية مما نشر بعد ذلك . ويبدو من أسلوبه أن كاتبه نقولا الحداد الذى تولى تحرير المجلة خلال سنتى ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ . وكان قد نشر بمجلة « الرسالة » عقب اشتعال الحرب فى فلسطين سنة ١٩٤٨ سلسلة طويلة من المقالات ركز فيها على فضح تاريخ اليهود والصهيونية .

واستهل الحداد مقاله بقوله :

« الماسونية كما فهمناها هى جمعية يقال أنها سرية . ونحن نعلم الا سر عظيم الشان فيها أو مفيدا للبشرية والحضارة سوى علامات الدرجات ، ومؤامرات سرية مختلفة الأغراض — وفيما سوى ذلك فهى فى دعوى اصحابها جمعية انسانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . هاتان الوصيتان من مزايا القرآن والانجيل ، ومن مبادىء النصارى والمسلمين . فاذا لم يكن للماسونية تعليم آخر افضل من هذين التعليمين فلا لزوم لها . واذا كان الانجيل والقرآن لم يرقيا الروح الانسانية فى البشر فتعاليم الماسونية لا تستطيع ان ترقى البشر فى الفضيلة والانسانية » .

ومضى بعد ذلك فتحدث عن المسيحية والاسلام اللذين لا لزوم لقول بعدهما . وقال ان العالم لا تنقصه ديانة ولا جمعية تعليمية ،

اعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى · وأصدر المؤتمر الماسونى المثالى المنعقد فى بيروت فى يونيو ١٩٥٠ قرارا بتأييد المحفل المصرى « برئاسة صاحب الشوكة معالى فؤاد سراج الدين باشا »(١٢٧) ·

(ج) اهمال الدولة :

كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بداية النهاية للماسونية فى مصر ، وبداية مرحلة جديدة شهدت العديد من التغيرات العنيفة ، وعلى رأسها انقلاب النظام فى مصر · ولكن النظام الجديد الذى حل فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يمس الماسونية على الفور ، أو بالتدريج، مثلما مس جميع مؤسسات النظام القديم · فقد أهملتها الدولة ، وتساقطت أوراقها ، وانفض سامرها · ومع ذلك لم يحدث هذا كله دفعة واحدة · ففى يونيو ١٩٥٣ ، أى بعد نحو عام من بداية النظام الجديد نشرت مجلة « الفن » تحقيقا مصورا بعنوان « الفن تتسرب الى القاعات السرية بالمحفل الماسونى : تثبيت يوسف وهبى رئيسا لمحفل الفنان المصرى ، وتكريس محسن سرحان » وجاء فى هذا التحقيق المدعوم بالصور :

« كان ذلك فى مساء الثلاثاء الماضى ، وقد حفلت الدار الماسونية بجمهور كبير من الفنانين الماسون ، نذكر منهم يوسف وهبى ومحسن سرحان وفريد شوقى واحمد كامل مرسى ومحمود المليجى وفؤاد شفيق وعبد السلام النابلسى وحلمى رفله وحسين رياض ومحمود فريد وعيسى أحمد وعلى رشدى واحمد سعيد وغيرهم كثيرون ·· ومن فرجة فتحت قليلا شاهدنا محسن معصوب العينين ، وقد وقف بين يوسف وهبى وعيسى أحمد · وكان كل منهما يرتدى الزى الرسمى للماسون ، شاهرا بيده سيفا من الخشب ، حلق به على رأس محسن سرحان ·· وأغلقت الفرجة ، وانقطع كل اتصال بيننا وبين ما يجرى فى الداخل »(١٢٨) ·

ومن الواضح فى هذا الكلام أن الفنانين لم يجدوا مايمنعهم عن هذه المظاهرة الماسونية ، وأن يوسف وهبى ورفاقه شكلوا محفلا طائفيا ، بمعنى الاقتصـــار على طائفة الممثلين وفنانى المســرح والسينما · ولا ندرى طبيعة عمل هذا المحفل ، ولكن يبدو أنه كان نوعا من المظهر الاستعراضى دون جدية ·

عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر ١٩٥٦ تأثر موقف اليهود داخل البلاد بالطبع ، وبدأت هجرتهم مرة أخرى فى أعقاب العدوان · وأصدر المحفل الأكبر الوطنى المصرى قرارا بوقف « نشاط الاخوان اليهود فى الناحية الماسونية » وبرر ذلك بأنه ابعاد « للشبهات والظنون عن العشيرة وخدمة لليهود الاخوان أنفسهم » على حد تعبير صيغة القرار · وعندما هدأ الموقف أصدرت بعض المحافل بيانا آخر طلبت فيه من اليهود « العودة الى نشاطهم » · ولكن يبدو أن هذا البيان لاقى معارضة شديدة داخل المحافل الماسونية ، وعده البعض غير قانونى ، واستمسك البعض الآخر بالبيان الأول الذى قضى بتجميد عضوية اليهود · ويبدو أيضا أن ذلك جاء بايعاز من السلطات أو كنوع من حسن النية من جانب الأعضاء الماسونيين المصريين من غير اليهود · وقد حذر قرار المحفل الأكبر ـ كما فسره هؤلاء ـ الاخوان الماســونيين من المخـــالفة حتى لا تقع التفرقة والانقسام بين صفوف العشيرة(١٢٩) ·

هذه التطورات الثلاثة كانت ســلبية فى الحقيقة من منظور الماسونية · وقد ساهمت ـ فى الوقت ذاته ـ فى بلورة تطور آخر سلبى ، أو هو التطور الأخير اذا شئنا الدقة · ففى ١٨ ابريل ١٩٦٤ أصدرت وزيرة الشؤون الاجتماعية قرارا بحل الجمعيات والمحافل الماسونية · وهذا نص القرار كما نشرته صحيفة « الأهرام » فى اليوم التالى :

« أصدرت الدكتور حكمت أبو زيد ، وزيرة الشئون الاجتماعية، أمس قرارا بحل الجمعيات الماسونية ، وهى : المحفل الماسونى اليونانى ، ومحفل خوفو فى القاهرة ، والمحفل الأكبر الوطنى لوادى النيل بالاسكندرية وفروعه بالاسماعيلية وهى محافل اسماعيل وزيتون والمساواة ، وجمعية الشرق الأكبر المصرى وفروعها فى بورسعيد وفروعها بمحافظات بورسعيد والقاهرة والاسماعيلية وهى محافل التوفيق وسولون وفينكس ولايركيبون والتحرير وأوزوريس وفتراتيوس ، ومقام سولون ولايرنيكون ، والقومية وجاريبالدى وجلوت ، ومقام ايزيس ، والوحدة ، ومقام جلوت ، واسماعيل رقم ٢ ، وهرميس ، وايزيس ، والجمعية الخيرية الماسونية بالمنصورة ٠

« وينص القرار على أن تقوم مديريات الشؤون الاجتماعية بتعيين من يقوم بتصفية الجمعيات التى تقع فى دائرة اختصاصها ، وتوجيه أموال الجمعيات الماسونية جميعها بعد التصفية الى اللجان الفرعية لمعونة الشتاء فى المحافظات التى تقع فى دائرة اختصاصها هذه الجمعيات »(١٢٠) ٠

يتضح من هذا القرار أن عدد المحافل الكائنة فى ذلك الوقت بلغ ٢٦ محفلا ، وأن معظمها محافل يونانية ٠ كما يتضح أن المحفل الأكبر الوطنى نقل مقره من القاهرة الى الاسكندرية ٠ ولكن ربما تم ذلك النقل قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠ فلا توجد معلومات مؤكدة فى هذا الخصوص ٠

وقد تلا نشر هذا القرار اقبال الصحف على نشر تحقيقات عن الماسونية وأسرارها وتجارب أعضائها السابقين ٠ وكان مما نشرته « الأهرام » أن سبب وقف نشاط الماسونيين هو أن

« اجتماعاتهم كانت سرا مغلقا حتى على الدولة » واضافت الصحيفة أن مندوبى الشؤون الاجتماعية عثروا فى المحفل الأكبر على سيوف وخناجر وكتب قديمة · ولم تبين الصحيفة طبيعة هذه السيوف والخناجر · فلم تكن من قبيل الأسلحة أو تخزينها والا لحوكم اصحابها ، وانما كانت - على الأرجح - سيوفا وخناجر قديمة مما يستخدم كرموز للماسونية فى المحافل(١٣١) ونشرت مجلة « آخر ساعة » تحقيقا بعنوان « سر خطير وراء حل الجمعية الماسونية » جاء فيه :

« عندما طلبت الجمعيات الماسونية بالجمهورية العربية المتحدة تسجيل تنظيماتها بوزارة الشؤون الاجتماعية طلب منهم المسؤلون تطبيق قانون الجمعيات عليها · وهذا القانون يحتم خضوع كل الجمعيات داخل الجمهورية لاشراف وزارة الشؤون الاجتماعية ، ويكون للمسؤولين فى الوزارة حق التفتيش على اعمال الجمعية للتاكد من عدم مخالفتها للقانون · ورفضت الجمعيات الماسونية ذلك لأنه يتعارض مع السرية التامة التى تعيش فيها ، فقررت الحكومة الغاء الجمعيات الماسونية فى مصر · ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لالغاء الجمعيات الماسونية ·· ان أمن الدولة وسلامتها اقتضيا الغاء هذه الجمعيات أيضا · فقد قررت الصهيونية استغلال المحافل الماسونية فى جميع انحاء العالم لمزاولة نشاطها بضمان سرية ما يجرى داخل هذه المحافل »(١٣٢) ·

ومعنى هذا أن المحافل الماسونية هى التى طلبت التسجيل فى وزارة الشؤون الاجتماعية المختصة بنشاط الجمعيات والأندية بجميع انواعها ، فلما واجهتها الوزارة بضرورة تطبيق القانون رفضت بحجة السرية · ولكن من الواضح أن قرار الغاء المحافل كان ذا سبب سياسى ، وهو ما فسره محرر « آخرساعة » باستغلال

الصهيونية للمحافل الماسونية · ومع ذلك لم يكن هذا الاستغلال ابن ساعته ، ولا ندرى ان كان قد صدر به قرار صهيونى أم لا ، ولكننا ندرى من تجربة ١٩٢٢ ، التى أشـــرنا اليها من قبل ، أن استغلال الصهيونية للماسونية مسألة قديمة لم تكن معروفة لصاحبة القرار السابق ·

غير أن هذا القرار ، وما تلاه من اعلام متحمس متزايد ضد الماسونية ، كان له صدى واسع فى البلاد العربية التى كانت محافلها تحت رعاية المحفل الأكبر المصرى ، مثل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق · فقد قررت سوريا اغلاق المحافل الماسونية فى اغسطس ١٩٦٥ · وفى ذلك الشهر قرر لبنان الغاء عقد المؤتمر الماســـونى العالمى ، الذى كان مقررا عقده فى بيروت ، خوفا من تسلل العناصر الصهيونية · وأصدر الماســـونيون فى الأردن بيانا اعترفوا فيه « باستغلال الصهيونية للماسونية العالمية استغلالا مجرماً فى أبشع صورة عرفتها الانسانية » ، وقرروا انشاء منظمة ماسونية باسم « الحركة الماسونية العربية » للبعد عن الاستغلال الصهيونى · كما قرروا الابقاء على الصلة مع المحافل العالمية الصديقة ، من أجل انصاف عرب فلسطين ونصرة قضية اللاجئين · ومع ذلك اصدر مفتى الأردن العام فتوى بتحريم الدخول فى الماسونية ، بدعوى انها بدعة يهودية ، تقدم الأخوة الماسونية على الأخوة الدينية والقومية وأن الله ينهى عن موالاة الأعداء(١٣٣) · وكان العراق قد سبق الجميع فاغلق المحافل الماسونية (عشرة محافل) على اثر ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨(١٣٤) ·

خاتمـــة

يدعو ما حدث فى مصر الى التساؤل :

لماذا تأخر قرار الحكومة المصرية باغلاق المحافل الماسونية الى سنة ١٩٦٤ ؟

هل كان التأخير من قبيل النســـيان للمحافل التى ران عليها الصمت ولم يعد لها صوت منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

هل كانت الحكومة المصرية تريد احراج المحافل او تركها كى تموت من تلقاء ذاتها ثم تصدر قرارا باغلاقها وتحريمها ؟

ماذا كان مصير سجلات هذه المحافل ؟ هل اعدمها اصحابها أم استولت عليه الحكومة ؟ واذا كان الأمر الأخير هـ والصحيح فأين هى الآن ؟

هذه الأسئلة لم يجب عنها احد للأسف بعد وربما تكشف الأيام جوابها(١٣٥) ٠

ولكن هناك اسئلة اخرى نســـتطيع ان نجيب عنها من واقع ما مر بنا ٠

هل قدمت الماسونية لمصر عملا خيريا مفيدا ؟ هل تركت اثرا يدل على ما ينادى به اصحابها من مبادىء البر والاحسان ؟ هل شاركت الحركة الوطنية فى مقاومة الاحتلال ؟

كل هذه الأسئلة جوابها واحد هو النفى ٠

لقد نقل الكاتب الانجليزى ستيفن نايت سطرا بالغ الأهمية عن « الكتاب الدولى لحرفة الماسونية » ويقول هذا السطر :

« ان الماسونية تعلم الانسان بوضوح أن أول واجب له يكون نحو نفسه »(١٣٦) وإذا فسرنا هذه العبارة تفسيرا عمليا يصبح معناها : أنا وبعدى الآخرون ، أى أن مصلحة العضو تأتى قبل مصلحة الأعضاء ٠ وبذلك تصبح الماسونية تنظيما أساسه المصلحة الشخصية ٠ ولهذا فان الماسونيين الانجليز الكثيرين الذين اعترفوا لنايت بأنهم استفادوا فى التجارة من « اخوانهم » ٠ أو سهلت مصالحهم مع القوامين على المجتمع بسبب ماسونيتهم ، لم يكذبوا أو يبالغوا ٠ فذلك هو الأساس عند عامة الماسونيين : حك ظهرى أحك ظهرك ، كما يقول المثل الانجليزى ٠ ولكن هذه المصالح الفردية فى أساسها لابد أن تتعقد حين تسيطر على المحافل مراكز قوة معينة٠ وعندئذ يوجه كل مركز منها المصلحة بالطريقة التى يريدها ٠ وهذا ما حدث فى الغالب فى صفوف ماسونية بلد مثل مصر ، حيث كانت المحافل مراكز لادارة المصالح الفردية أو الجماعية ، حسب ثقل مراكز القوة بها ، وكانت أيضا مراكز للمعلومات والتنسيق بين المصالح ، مهما كانت شعاراتها أو مبادئها الخيرية المعلنة على الناس ٠

لقد بدأت الماسونية فى مصر ـ كما رأينا ـ بهدف رعاية مصالح الأقليات الأجنبية التى أسستها ٠ ولما ازدادت فيها نسبة الأهالى ، أو العنصر الوطنى ، بدأ التطلع ـ تحت مظلة السرية ـ الى تحقيق أهداف ذات طابع وطنى كما حدث مع الأمير حليم الذى حاول استغلال الماسونية فى الوصول الى الحكم ، وكما حدث أيضا مع الأفغانى الذى حاول استغلالها فى التخلص من اسماعيل وتثبيت

ولاية ابنه توفيق · وكان ذلك فى الحالتين أشبه بحركة « اللوبى » ، أو قوى الضغط ومراكز القوة فى السياسة · ثم انتهت تلك المرحلة التى حاولت فيها الماسونية أن تؤسس نفسها فى مصـــر بالاحتلال الانجليزى ·

وبدأت مرحلة الاحتلال ـ كما رأينا أيضا ـ دون أن تتأسس الماسونية · فكان من الطبيعى أن تنضــوى تحت لواء الانجليز ، لسببين : أولهما أن معظم أعضـــاء المحافل أجانب ، والآخر أن الانجليز هم أول من أسس الماسونية فى العالم · وهكذا تميزت تلك المرحلة باستقرار الماسونية وتوسعها وازدهارها من جهة ، وابتعاد الحركة الوطنية عنها تماما من جهة أخرى ، على عكس ماحدث فى المرحلة السابقة حين حاولت الحركة الوطنية الاستفادة منها(١٣٧) · ونتيجة لهذه الظـــروف نجح اليهود ـ بازدهارهم وتحالفهم مع الانجليز ـ فى الاستفادة منها فى تحقيق أحلامهم الصهيونية حتى نهاية المرحلة سنة ١٩٤٨ ·

وفى مرحلة النهاية الأخيرة صمتت الماســونية وتعرضــت للانقراض حتى ألغيت رسميا سنة ١٩٦٤ ·

فى كل هذه المراحل الثلاث لم تترك الماسونية أثرا طيبا على المستوى العام ، اجتماعيا أو سياسيا · وبذلك لم تعمل بمبادئها ، ولا كفت يديها عن العبث السياسى · ولم يبق منها فى النهاية سوى سوء الذكر وآلاف الصفحات وأبيات الشعر التى دبجها المخدوعون بها أو الذين فى قلوبهم غرض · أما على المستوى الفردى فربما أحسنت على كثيرين وسهلت مصالح الكثيرين أيضا · ولكن هذا لا يبقى فى التاريخ كما يبقى الاحسان العام والمصالح العامة للأمم والجماعات ·

ملاحق

مصطلحات ماسونية

هذا بيان بأهم المصطلحات الشائعة فيما يكتب عن الماسونية فى الانجليزية والفرنسية :

الماسونية العملية : Operative Masonery

هى الماسونية الأصلية التى ارتبطت بأعمال البناء القديمة ، وتشكل المرحلة القديمة ٠

الماسونية الرمزية : Speculative Masonery

هى الماسونية التى اتخذت بعض رموز الماسونية القديمة واشاراتها وأدواتها فى صنعة البناء ، وتشكل المرحلة الحديثة ٠

المحفل : Loge, Lodge

وهو الوحدة الماسونية الأولى ، او الخلية الأولى فى مجتمعها ٠٠ ويتألف من أعضاء مقبولين ، اى تم اختبار حسن نيتهم واستعدادهم وصلاحيتهم ٠ وقد أخذ المصطلح من الاسم القديم الذى كان يطلق على اكشاك البنائين خارج المبانى او الأعمال الجارى

بناؤها · وكان البناؤن يتجمعون فى هذه الأكشاك للمبيت ، او تنظيم الواجبات ، او تلقى الأجور ·

المجمع : Chapitre, Chapter

وهو الوحدة او الخلية التنظيمية الأعلى · ويتألف من مجموعة محافل فى منطقة معينة داخل البلد الواحد ·

المحفل الأعظم : Grand loge, Grand Lodge

وهو الوحدة او الخلية العليا التى تشرف على المجامع والمحافل الفرعية ·

الشرق : Orient, East

وهو هيئة تشرف على مجموعة محافل ومجامع فى عدة بلدان · ·

درجـات المـاسونية

يتدرج عضو المحفل الماسونى فى سلم من الدرجات يصل الى ٣٣ درجة على مستوى البلد الواحد ، كما فى انجلترا · ولكن هذه الدرجات الثلاث والثلاثين لا يعرف عنها الكثيرون من أعضـــاء المحافل شـيئا · فالمشـــهور منها ثلاث هى الأولى · وهذا بيان بالدرجات الثلاث والثلاثين كما تعرف فى الانجليزية :

١ ـ التلميذ أو الصبى ·

٢ ـ زميل الصنعة أو الرفيق ·

٣ ـ الأستاذ أو الأسطى

٤ ـ الأستاذ السرى ·

٥ ـ الأســتاذ الكامل ·

٦ ـ السكرتير ، أو الأمين ، المقرب ·

٧ ـ الوصى والقاضى ·

٨ ـ مراقب البناية أو المنبه ·

٩ ـ مختار التسعة ·

١٠ ـ مختار الخمسة عشر ·

١١ ـ المختار الجليل ·

١٢ ـ الأستاذ المهندس الأعظم

١٣ ـ القوس الملكية ٠

١٤ ـ فارس الكمال الاسكتلندى ٠

١٥ ـ فارس السيف أو فارس المشرق ٠

١٦ ـ أمير القدس ٠

١٧ ـ فارس المشرق والمغرب ٠

١٨ ـ فارس البطريق والنسر والأمير العاهل للصليب الوردى ٠

١٩ ـ الحبر الأعظم ٠

٢٠ ـ الأستاذ الأعظم المبجل ٠

٢١ ـ البطريرك النوكى ٠

٢٢ ـ أمير لبنان ٠

٢٣ ـ رئيس المعبد ٠

٢٤ ـ أمير المعبد ٠

٢٥ ـ فارس الأفعى النحاسية ٠

٢٦ ـ أمير الرحمة ٠

٢٧ ـ حامى المعبد ٠

٢٨ ـ فارس الشمس ٠

٢٩ ـ فارس القديس اندرو ٠

٣٠ ـ الفارس المنتخب الأعظم قادوش ، فارس النسر الأسود والأبيض ٠

٣١ ـ المفتش الأعظم القائد المحقق ٠

٣٢ ـ الأمير الجليل للسر الملكى ٠

٣٣ ـ المفتش العام الأعظم ٠

ويلاحظ أن بعض هذه الدرجات ماخوذ من صنعة البناء ، ولاسيما الثلاث الأولى ، وأن معظم الدرجات ماخوذ من التوراة والانجيل ٠ ويلاحظ ايضـــا أن الدرجة الأخيرة (المفتش العـــام الأعظم) لا يحتلها فى بلد مثل انجلترا سوى ٧٥ شخصا ، وأن الدرجة كلما علت قل عدد شاغليها ٠

هناك أيضا درجات محلية فى كل محفل تمنح بالانتخاب وتشغلها هيئة موظفى المحفل ، وهى :

١ ـ الأستاذ (الأعظم)

٢ ـ نائب الأستاذ (الأعظم)

٣ ـ نائب ثانى الأستاذ (الاعظم)

٤ ـ منبه أول (أعظم)

٥ ـ منبه ثان (اعظم)

٦ ـ كاتب سر او امين (اعظم)

٧ ـ حامل علم (أعظم)

٨ ـ مرشد (اعظم)

٩ ـ امين خزينة (أعظم)

مع ملاحظة ان كلمة « الأعظم » تضاف للعاملين بالمحفل الأعظم اى المحفل المشرف على المحافل الأخرى فى البلد الواحد ٠

المحفل الأكبر الوطنى المصرى

للبنائين الأحرار القدماء المقبولين

نداء الى أهالى فلسطين

باسم الحرية والاخاء والمســـاواة التى هى الشعار المقدس للماسونية ذات المبادىء الخالدة ٠

وباسم السلام العام الذى تدعو اليه جميع المذاهب الفلسفية وتأمر به كل الأديان السماوية ٠

يتقدم المحفل الأكبر الوطنى المصرى ٠

الى أئمة الدين الحنيف وحفظة الشرع الكريم الذين يستمع اليهم عرب فلسطين ٠ ٠

الى رؤساء جميع الأديان الأخرى ، سواء كانت مسيحية أو موسوية أو غيرها ، على اختلاف النحل والمذاهب ٠

الى أهل العقول الراجحة والبصيرة النيرة الذين يصدعون بالحق ، وفى الحق لا يخشون لومة لائم ٠

· الى أرباب الأقلام والصحف الذين يقتدى بهم الخاصة ويهتدى بهم العامة ·

الى اكابر المسلمين وأعيانهم الذين يغارون على مجد أسلافهم الكرام ، أولئك الأسلاف الذين سبقوا الناس كافة فشرعوا للانسان حرية الفكر وحرية القول وحرية العمل ·

الى أصحاب المناصب وذوى الحل والعقد المسؤولين أمام خالقهم وأمام ذمتهم عن حفظ السلام واقامة القسطاس بين جميع المتوطنين فى فلسطين ·

الى التجار الذين تتنافر مصالحهم مع العنف والعدوان وسفك الدماء وتخريب العمران ·

الى العمال والصناع الذين يستفيدون ويفيدون من ازدياد أسباب الثروة وتوافر عوامل الرخاء فى فلسطين ·

الى أصحاب المزارع والضياع وأرباب المسقفات والمبانى الذين سيكون نماء العمار فى بلادهم سببا لتدفق الثروة عليهم ·

الى المزارعين والأكارين الذين سينالون اكبر المنافع باستخدام الأساليب الحديثة التى لا تلبث أن تتوافد عليهم فتعمهم الرفاهية وتتحسن أحوالهم المادية والأدبية ·

الى الشباب الناهض الذى سيجنى اكبر الثمرات مما سيقام فى فلسطين من معاهد العلم ، مثل ماجناه أبناء سورية مما أسسه المرسلون الدينيون فى بيروت وغيرها ، مع ما هى مصبوغة به من الصبغة الدينية · فأما المعاهد التى ستقام فى فلسطين فلا تكون الا علمية محضة وطنية بحتة ، فيكون من شأنها احياء الشرق وتجديد فخاره الماضى واعادة مجده القديم وارجاع أهله الى مكانتهم السامية ·

الى المشاغبين ، أولئك الذين لا تؤدى أعمالهم الى شىء آخر سوى الضرر بمصالح العرب الحقة ، والى أولئك الذين يسوقون من خلف الستار بنى قومهم الساذجين الى العبث بذمة العرب الكرام والى ارتكاب الاثم والعدوان ٠

الى أولئك الذين يتوافدون من كل فج عميق لزيارة قبر الكليم « النبى موسى » عليه السلام ، فى يوم موسمه القادم الذى هو زمن المحبة والسلام ،

الى أولئك الذين يغريهم الدساسون الخادعون على اقتراف المحارم وسفك الدماء وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق !

ثم الى الأمة الفلسطينية كلها كبيرها وصغيرها ، رجالها ونسائها ، بلا تمييز بين الأجناس والأديان ٠

فيقول للجميع بلسان الماسونية المصرية وبلسان الانسانية :

انكروا — نفعكم الله — أن الفرنساويين والانجليز فى بلاد كندا يتالف من عنصريهما المختلفين ، جنسا وسلالة ، أمة واحدة يعيش أفرادها جنب الى جنب بسلام وأمان ٠

اذكروا أن الألمان والفرنساويين والطليان تتالف منهم « فى بلاد سويسرا » أمة واحدة متجانسة على اختلافها فى اللغات والأديان ، وأن تكاتفهم واتحادهم واجماع كلمتهم منبع قوتهم ومصدر ثروتهم ، وأن فى تماسكهم وتضامنهم حياتهم الشريفة وحريتهم الغالية ٠

يا أهل فلسطين

تذكروا أن اليهود هم أخوتكم وأبناء عمومتكم اذ ركبوا متن الغربة فافلحوا ونجحوا ٠ ثم هم اليوم يطمحون للرجوع اليكم لفائدة

وعظمة الوطن المشترك العام ، بما أحرزوه من مال وما اكتسبوه من خبرة وعرفان ٠

ان العربى والعبرى صنوان من شـــجرة ابراهيم ، أبواهما اسحق واسماعيل ٠ فمتى وضع أحدهما يده فى يد الآخر انتفعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة ، وكان فى تعاونهما تمام الخير وكمال البركة باذن الله ٠

اسمعوا وعوا هذا الصوت الذى تناشدكم به مصر ، شقيقتكم الكبرى ٠

انها تدعوكم الى السلام والوئام لمصلحتكم ولمصلحة الشــرق وهى فوق كل مصلحة ٠

اسمعوا هذا الصوت الذى يدعوكم الى الحكمة وسبيل الرشاد، هذا الصوت المنبعث عن أرض تفاخر وتباهى بصلاح الدين ، ذلك الملك الجليل الذى أعجب به العالم طرا بما كان له من تســـامح لايزال كوكبه الوضاء يتلألأ فى جبين الشرق والاسلام ٠ فقد كان بتسامحه مع اليهود والنصارى أشرف الملوك وأجلهم قدرا ٠ وما ذلك الا لأنه تشبع بروح الاسلام الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاستمد رجحانه على كل معاصريه من تلك القوة التى أرسلت أنوار الحضارة على العالم بأجمعه ، تلك هى قوة العرب ٠

حافظوا على شرف العرب القديم ، وعلى مجدهم الصميم ، ولا تندفعوا وراء الأيدى الخفية فى تيار الظلم والعدوان ٠ واياكم ثم اياكم أن تسفكوا الدم الذى حرم الله ٠

هذا ما رآه المحفل الأكبر الوطنى المصرى ٠ ويقينه أن أهل فلسطين يستمعون لهذا النداء ، وأخصهم العرب ، فأنهم هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠

لقد ادى المحفل الوطنى المصرى الأمانة . وقام بالواجب عليه نحو التضامن الانسانى . ورجاؤه أن يكون لهذا النداء أحسن صدى ، فيهب أصحاب الكلمة المسموعة من اخواننا اليهود واخواننا النصارى واخواننا المسلمين المتوطنين فى فلسطين لدعوة أبنائهم وقرابتهم والمؤتمين بهم الى الامتناع عن المحارم والآثام ، والى اجتناب أسباب الشقاق والانقسام فى تلك الأرض المقدسة ، أرض فلسطين ، حتى يسود بين عناصرها الاتحاد والوئام ، ويخيم على ربوعها السلام .

الأستاذ الأعظم	كاتب السر الأعظم
ادريس راغب	**عبد المجيد يونس**
نائب الأستاذ الأعظم	مساعد نائب الأستاذ الأعظم
محمد رفاعة	**طه ابراهيم**

عن القاهرة فى ٢ ابريل سنة ١٩٢٢

بيان الى أهالى فلسطين

لقد أحدث نداء المحفل الأكبر الوطنى المصـــــرى الى الأمة الفلسطينية الكريمة سوء تفاهم يوجب الأسف . فهو لذلك يرى من واجبه ايضاح قصده منعا للالتباس .

لم يرد المحفل الأكبر الوطنى المصرى بندائه مصادمة عواطف الفلسطينيين فى أسلوب الدفاع عن حقوقهم أو الاحتفاظ بمصالحهم أو بمطالبتهم بأمانيهم المشروعة أو الاستكانة للغرباء ، وانما أراد عدم حدوث شجار أو شغب أو اراقة دماء فى مدة مولد النبى موسى الكليم الذى يتوافد اليه الكثيرون من أنحاء المعمورة . ولذا بادر بنشر ندائه قبل بزمن قصير . وان المحفل الأكبر ليحمد الله على تحقيق ما كان يقصده . فقد ابتدأ المولد وانتهى بسلام . ويرجو أيضا أن يسود هذا السلام على الدوام .

أما الصهيونيون الذين يفدون من الخــارج ، ويســـتوطنون فلسطين فللفلسطينيين أنفســـهم الحرية التامة فى أن يحكموا اذا كانوا يقبلون ادماجهم فى العنصر الفلسطينى من عدمه .

وبعد هذا البيان يتعشم المحفل الأكبر الوطنى المصرى أن يكون قد زال كل ما علق بنفوس اخواننا الفلسطينيين من سوء التفاهم :

هذا والمحفل الأكبر الوطنى المصرى يبرأ الى الله أن يكون العوبة تلعب بها أهواء ذوى الأغراض والمصالح الشخصية ، لأنه لم يقدم على نشر النداء الا حبا فى ان يرى السلام سائدا بين جميع العناصر التى تتالف منها الأمة الفلسطينية الكريمة ·

وفى الختام يتمنى للفلسطينيين كل سعادة ورفاهية ·

القاهرة فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٢

الأستاذ الأعظم ادريس راغب

كاتب السر الاعظم عبد المجيد يونس

نائب الأستاذ الأعظم محمد رفاعه

مساعد نائب الأستاذ الأعظم طه ابراهيم

ببليوجرافيا عربية عن الماسونية

كتب ـ نشرات ـ صحف

اورد يعقوب لاندو قائمة طويلة بالكتب والنشرات التى صدرت عن الماسونية فى مصر بالعربية والفرنسية والايطالية (Landau, op. cit., PP. 170 — 72. وقد وجدنا ان القائمة العربية غير كاملة فاضفنا اليها ما استطعنا الحصول عليه او على عناوينه، ثم اعدنا ترتيبها ابجديا ، واضفنا اليها ايضا الصحف العربية الماسونية فى مصر مرتبة تاريخيا ·

اولا : كتب وكتيبات :

١ ـ احمد زكى ابو شادى :

روح الماسونية وآمال الانسانية ، القاهرة ، ١٩٢٧ ·

٢ ـ ········

البناية الحرة او خطرات عن الماسونية ، القاهرة ١٩٢٧ ·

٣ ـ ....
صوت الماسونية ، القاهرة ، مطبعة عطية ، ١٩٢٩ .

٤ ـ احمد غلوش :
الجمعية الماسونية ـ حقائقها وخفاياها ، القاهرة ، الدار القومية ، د . ت (الستينات)

٥ ـ ادريس راغب :
القانون الماسونى للمحفل الأكبر ، القاهرة ، ١٨٩٣ .

٦ ـ ....
الدرجة الأولى ـ شرح لوحة الرسم ومقالات خاصة بهذه الدرجة وضعتها لجنة من الأساتذة بملاحظة الأخ الكلى الاحترام ادريس راغب بك ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ (الطبعة الثانية ١٩٠٢) .

٧ ـ ....
رسوم الدرجة الثالثة الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨ .

٨ ـ ....
رسوم الدرجة الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، ط ٢ ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠١ .

٩ ـ ....
رسوم الدرجة الثانية الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ،١٩٠١ .

١٠ ـ الياس منسى :
(مترجم) : النظامات الأممية المسنونة بمعرفة المجلس

الشوروى السامى للطريقة الاسكتلندية القديمة العهد لفرنسا وملحقاتها ، القاهرة ، المطبعة الأممية ، ١٨٩٠ .

١١ ـ ....

أصول الماسونية الأسكتلندية (القديمة العهد) ، ط ٢ ، وقف على طبعه ونظر فيه الأخ عبد المسيح انطاكى بك صاحب جريدة العمران ، القاهرة ، مطبعة العرب ، ١٩١٣ .

١٢ ـ ايليا الحاج :

الخلاصـــة الماسونية ، النبذة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الترقى ، ١٩٠٠ .

١٣ ـ جرجى زيدان :

تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى هذا اليوم ، القاهرة، مطبعة المحروسة ، ١٨٨٩ . وقد اعادت طبعه دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٢ .

١٤ ـ زكى ابراهيم :

صوت الماسونية أو التقويم الماســونى العام لمحفل منف تقديم عزيز ميرهم ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

١٥ ـ شاهين مكاريوس :

الآداب الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٥ .

١٦ ـ الجوهر المصون فى مشاهير الماسون .

١٧ ـ ....

الحقائق الأصلية فى تاريخ الماســونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٧ .

١٨ ـ ....

فضائل الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٩ .

١٩ ـ ....
الأسرار الخفية فى الجمعية الماسونية ، القاهرة ، مطبعة التمدن ، ١٩٠٠

٢٠ ـ ....
الأزهار العطرية فى الماسونية المصرية ٠

٢١ ـ ....
الماسونية الرمزية ٠

٢٢ ـ ....
تاريخ الماسونية القديمة وآثارها (مترجم) مطبعة المقتطف ، ١٩٠٣ ٠

٢٣ ـ ....
الدرجة الماسونية حسب طريقة المحفل الأورشليمى ، القاهرة، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٥

٢٤ ـ ....
الدستور الماسونى العام للطريقة الأورشليمية ٠

٢٥ ـ عبد الرحمن سامى عصمت :
الصهيونية والماسونية ، ط ٢ ، الاسكندرية ، مطبعة رمسيس، ١٩٥٠ ٠

٢٦ ـ محمد عبد الله عنان :
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، ط ٢ ، القاهرة، لجنة التاليف ، ١٩٥٤ ٠

٢٧ ـ مصطفى اسماعيل المصرى :
الهدية الألوى الاسلامية للملوك والأمراء فى الداء والدواء القاهرة ، مطبعة البارونية ، ١٣٢١ هـ ٠

٢٨ ـ نقولا سابا :

اللآلىء الماسونية ، الاسكندرية ، ١٩٠٦ ٠

ثانيا : كتب ونشرات غير محددة المؤلف أو النشر :

١ ـ دستور المحافل المصرية الوطنية التابعة لعشـــيرة البنائين الأبرار ذوى العهد القديم والراية العامة المصححة ، القاهرة ، مطبعة التأليف ، ١٨٩٣ ٠

٢ ـ محفل الصدق الموقر ٣٠٥ بشرق شبرا ، القاهرة ، ١٩٠١ ٠

٣ ـ القانون الداخلى للمحفل من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٠٩ ٠

٤ ـ الحقيقة الجلية فى الشيعة الماسونية ، القاهرة ، ١٩٠٧ ٠

٥ ـ محفل السلام الاسكتلندى نمرة ٩٠٨ ، د ٠ ت ٠

٦ ـ المحفل الأكبر الوطنى المصرى : تقرير الأعمال لعام ١٩٢٧ ، القاهرة ، ١٩٢٧ ٠

٧ ـ نشرة أعمال المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٢٨ ٠

٨ ـ محاضرات محفل فرعون : المختار من المحاضرات التى ألقاها كبار الأدباء بالدار الماسونية المصرية (زكريا رشدى وفيلكس فارس ومحمد مظهر سعيد ، ومصطفى فهمى) الاسكندرية ، المطبعة الأهلية ، ١٩٣١ ٠

٩ ـ الماسونية فى البلاد العثمانية (دون مؤلف أو ناشر أو تاريخ نشر) ٠

ثالثا : صحف ومجلات (فى القاهرة مالم يحدد مكان آخر للصدور)

(أ) الصحف ذات الاهتمام العام بالماسونية :

١ ـ مصر (١٨٧٨ ـ ١٨٧٩) مارون نقاش واديب اسحق ٠٠ اسبوعية (الاسكندرية) ٠

٢ ـ البيان (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) يوسف شبت وميخائيل جرجس ٠ نصف أسبوعية ٠

٣ ـ المقتطف (١٨٧٦ ـ ١٩٥٢ ـ يعقوب صروف وفارس نمر ٠ شهرية ٠

٤ ـ الفلاح (١٨٨٥) سليم حموى ٠ أسبوعية ٠

٥ ـ الصـــادق (١٨٨٦) أمين ناصيف ٠ اسبوعية ٠

٦ ـ اللطائف (١٨٨٦ ـ ١٩١٠) شاهين مكاريوس ٠ أسبوعية ،

٧ ـ المقطم (١٨٨٨ ـ ١٩٥٢) فارس نمر ٠ يومية ٠

٨ ـ النصوح (١٨٩٢) محمد توفيق ٠ أسبوعية ٠

٩ ـ النظام (١٩١٩ ـ ١٩٣٢) سيد على وعلية سيد على ٠٠ يومية ٠

١٠ ـ الأيام (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) حسين شفيق المصرى ٠ يومية ، ثم أسبوعية من ١٩٤١ الى ١٩٤٨ ٠

(ب) الصـــحف ذات الاهتمـــام الخاص ، أى المتخصـــصة فى الماسونية :

١ ـ المجلة الماسونية (١٩٠١ ـ ١٩٠٣) يوسف لفلوفة ثم نقولا

سابا • شهرية (الاسكندرية) وقد أشارت فى أحد أعدادها (أول سبتمبر ١٩٠٣ ص ١٧٢) الى جريدة ماسونية تدعى « الميزان » قالت عنها انها تصدر أسبوعيا بالعربية والايطالية ويصدرها س • ن • ولكننا لم نعثر لها على اثر فى دار الكتب المصرية • ويبدو أنها صدرت فى الاسكندرية •

٢ ـ الجريدة الماسونية (١٩٠٣ ـ ١٩١٢) نقولا سابا • نصف شهرية (الاسكندرية) • •

٣ ـ الاخاء (١٩٠٦) رحمين فرجون • نصف شهرية •

٤ ـ المجلة الماسونية (١٩٢٠ ـ ١٩٢٢) سيد على • شهرية •

٥ ـ الأخبار الماسونية • بالعربية والفرنسية (١٩٢١) موسى جرونشتين واسكندر فرج والبير بزيات • شهرية • صدر منها ثلاثة أعداد (يناير ـ مارس) •

٦ ـ الميثاق (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥) المحفل الأكبر الوطنى المصرى • شـــهرية •

٧ ـ حيرام (١٩٢٤) السيد على • ثلث شهرية (الاسكندرية) •

٨ ـ الاخاء (١٩٣٠ ـ ١٩٣٢) محمد سيف النصر • اسبوعية المنصورة •

هوامش

(١) راجع الببليوجرافيا الواردة فى ملاحق الكتاب .

(٢) Stephen Knight : The Brotherhood, the secret world of the Freemasons, London, Granada, 1983, P. 230.

(٣) The New Enc. Britanica : Micropedia, 1981, V. 4, P. 302.

(٤) Ibid., V. 9, P. 1155.

(٥) Ibid., V. 14, P. 648.

(٦) Ibid., V. 16, P. 56.

(٧) Enc. Americana, 1983, V. 18, P. 432.

(٨) يضيف المحرر بعض المعلومات التفصيلية عن دور اليهود فى تأسيس المحافل الأمريكية ، ومنهم موردخاى كامبانال الذى اسس أول محفل فى رود ايلاند سنة ١٦٥٨ . ويقول ان اربعة من اليهود كانوا بين مؤسسى أول محفل بمدينة سافانا رود ايلاند ، ونال درجة البناء الأكبر سنة ١٨٠٢ . وكان معاصره سولومون بوش نائب مفتش عام للماسونية فى بنسلفانيا . وفى سنة ١٧٨١ كان

اليهود ذوى نفوذ فى محفل الكمـال الأعلى فى فيلادلفيا . وقد لعب هـذا المحفل دورا مهما فى أوائل تاريخ المـاسونية فى أميركا . أنظر :
Enc. Judaica, Jerusalem, 1971, V. 7, C. 124.

(٩) Ibid., CC. 122 — 124.

(١٠) Great Soviet Enc., V. 15, PP. 532 — 533.

(١١) Martin Bernal : Black Athena. FAB, London, 1984, PP. 174 — 76.

(١٢) Ibid., PP. 176 — 180.

(١٣) J.M. Landau : Prolegamena to a study of secret societies in Modern Egypt. Middle Eastern Studies, Vol. 1, No. 2, London 1965, P. 139.

(١٤) جرجى زيدان : تاريخ المـاسونية العام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٤٨ ــ ١٥٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(١٨) حنا أبو راشد : دائرة المعارف المـاسونية ، مكتبة الفكر العربى ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٩٥ .

(١٩) جرجى زيدان : ص ص ١٥٧ ــ ١٦٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ص ١٦٥ ــ ١٦٨ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ص ٨ ــ ١٠ .

(٢٣) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، جـ ٢ ، القـاهرة ، ط ٢ ، مطبعة الهلال ، ١٩١١ ، ص ٢٢٣ .

(٢٤) راجع على سبيل المثال : المجلة الماسونية ، القاهرة ، أعداد اغسطس وأكتوبر ١٩٢١ ويناير ١٩٢٢ ، ص ص على التوالى : ٢٥٢ ـ ٥٤ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، ٨١ ـ ٨٢ . وكذلك راجع : المقتطف ، يناير ١٩٢٥ ، ص ١٠٠ .

(٢٥) Landau, Op. Cit., P. 139.

(٢٦) Ibid., 1 oc. Cit.

(٢٧) Ibid. PP. 139 — 140.

(٢٨) جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ .

(٢٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٠) Homa PaKdaman : Djamal El-Din Assad Abadi, dit Afghani, Paris, Maisoneuve — Larose, 1972, P. 58.

(٣١) شاهين مكاريوس : تاريخ الماسونية القديمة وآثارها ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٣ ، ص ص ١٥٧ ـ ١٦٠ .

(٣٢) ذكر جرجى زيدان فى كتابه السابق أن أحد أعضاء المحفل الذى أسسه بونابرت كان يدعى صموئيل جنس ، وهو رجل من الأهالى سافر الى فرنسا سنة ١٨١٤ حيث أنشأ محفلا هناك ـ راجع : تاريخ الماسونية العام ، ص ١٥١ .

(٣٣) Landau, Op. Cit., PP. 146 — 141.

(٣٤) Ibid., P. 175.

(٣٥) راجع دور حليم فى الماسونية فى : Ibid., PP. 148 — 151.

(٣٦) Elie Kedouri : Afghani and Abdo, London, Case, 1966, P. 21.

(٣٧) أصغر مهدوى وايرج افشار : مجموعة أسناد ومدارك چاپ نشده ودرباره سيد جمال الدين مشهور به افغانى ، جامعة طهران ، ١٩٦٣ ، لوحة ١٦ .

(٣٨) Pakdaman, Op. Cit., 1 oc. cit.

(٣٩) Ibid, 1 oc. cit.

(٤٠) Ibid., P. 59.

(٤١) مهدوى وافشار ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

(٤٢) W.S. Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, London, 1907 P. 489.

(٤٣) Ibid., 1 oc. cit.

(٤٤) لطيفة سالم (الدكتورة) : القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، هيئة الكتاب ، ١٩٨١ ، ص ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤٥) مصر : ٢٧ يونيو ١٨٧٩ ص ١ .

(٤٦) التجارة : ١٠ يوليو ١٨٧٩ ، ص ١ .

(٤٧) التجارة : ١٥ يوليو ١٨٧٩ ، ص ١ . وقد اعلن على لسان المحفل (كوكب الشرق التابع للشرق الأعظم الانجليزى) أنه « لم يكلف البتة السيد جمال الدين برسالة ما . وكيف يكون ذلك وهذا السيد معروف هنا بكرامته وبغضه للنفوذ الأوربوى ، مخطأ عند أذكياء مصر فى تصوراته التى توجب الضرر ولا تجاب النفع » .

(٤٨) التجارة : ٥ أغسطس ١٨٧٩ ، ص ٢ .

(٤٩) التجارة : ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ ، ص ٢ .

(٥٠) مهدوى وأفشار ، مصدر سابق ، تصوير ٣٦ . راجع الرسالة كلها محققة كما نشرناها فى مجلة الدوحة ، قطر ، يوليو ١٩٨٤ ، ص ص ٧١ - ٧٧ .

(٥١) محمد المخزومى : خاطرات السيد جمال الدين الأفغانى ، بيروت ، ١٩٣١ ، ص ص ٨ - ٩ .

(٥٢) Blunt Op. Cit., P. 491.

(٥٣) نشرة الاعمـال للمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٢٨ ، ص و .

(٥٤) شـاهين مكاريوس: الآداب المـاسونية ، القـاهرة ، مطبعـة المقتطف ، ١٨٩٥ ، ص ص ١٩٧ ـ ٢٠١ ، نقلا عن : نجدة فتحى صفوة . ويلاحظ أن صاحب الأبيات هو الشاعر حفنى ناصف .

(٥٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ، القـاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ، ص ٥٢١ .

(٥٦) سامى عزيز (الدكتور) : الصحافة المصريـة فى عهد الاحتـلال ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٧ .

(٥٧) كان شاهين مكاريوس من ابرز انصـار ادريس راغب . وقـد وضع على صـدر كتابه « تاريخ المـاسونية القديمة وآثارها » اهداء لراغب جاء فيه : « الى سـعادة الفاضـل الأستاذ الاعظم ادريس راغب بك أسـتاذ اعظم المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ورئيـس أول اعظم المقـام الأكبر المصرى لدرجة العقد الملوكى ، وعضـو شرف فى جمعية قديمى العهد المـاسونية ، وأستاذ اعظم الأسـاتذة المعلمين لولايات شمال افريقيا ، والقطب الاعظم لمشيخة الطرق العظمى للشرق الأكبر الوطنى المصرى ، ورئيـس مجلس ادارة الشرق الأكبر الوطنى المصرى ، الخ » .

(٥٨) لويـس عوض (الدكتور) : تاريخ الفكر المصرى الحـديث من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ ، الخلفية التاريخيـة ، جـ ٢ القـاهرة ، هيئـة الكتاب ، ١٩٨٣ ، ص ١٩٥ .

(٥٩) نشرة الأعمال ، مصـدر سابق ، ص ١٠ .

(٦٠) المجلة المـاسونية : ١ مايو ١٩٢١ ، ص ١ .

(٦١) المجلة المـاسونية : ١ فبراير ١٩٢٢ ، ص ١١٧ .

(٦٢) نشرت جريدة « النظـام » اليومية المتعاطفة مع المـاسونية نص هذه البرقية فى ٢٩ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٢ . وجاء فيهـا : « المحفل الأكبر الوطنى المصرى الذى يدين بالحرية والمساواة وبالاخاء بتشرف بأن يلتمس من

عطفكم الأبوى بصفتكم الملاذ الأوحد للأمة المصرية ان تشملوا اخانا سعد زغلول برحمتكم فتأمروا بانقاذه من مكان اجمع الأطباء على أنه يودى بصحته ويضر بحياته . ومولانا الملك هو خير من يحافظ على أفراد المصريين عموما ، ولا سيما الذين أدوا الوطن الخدم الكبرى . والمحفل الاكبر على يقين من أن جلالة ملك مصر لا يسمح قلبه الرحيم بأن يقضى هذا الشيخ ما بقى من عمره بعيدا عن الأهل والوطن » ووقع البرقية « عبدكم الخاضع ادريس راغب الأستاذ الأعظم » .

(٦٤) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ١٠١ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٦٦) S. Moreh : Modern Arabic Poetry, Leiden, Brill, 1976, cf. 99.

(٦٧) جرجى زيدان ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٦٨) شاهين مكاريوس : فضائل الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ ، ص ١٢٠ .

(٦٩) سامى عزيز ، مصدر سابق ، ص ٣١٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠٩ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .

(٧٢) نشر شيخو هذه السلسلة ابتداء من العدد ١٠ السنة ١٢ من « المشرق » فى أكتوبر ١٩٠٩ ، ودامت حتى سنة ١٩١١ ثم طبعها فى كراسات منفصلة جمعت بعد ذلك فى كتاب .

(٧٣) المجلة الماسونية : أول أغسطس ١٩٠٣ ، الاسكندرية ، ص ١٥١ .

(٧٤) المجلة الماسونية : اول يوليو ١٩٢١ ، القاهرة ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(٧٥) المجلة الماسونية : اول نوفمبر ١٩٢٢ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٧٦) الميثاق : ٤ سبتمبر ١٩٢٤ ، ص ص ١٥ ـ ١٧ .

(٧٧) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ص ٨٠ ـ ٨٥ .

(٧٨) المجلة الماسونية : اغسطس ١٩٠٣ ، ص ١٥١ .

(٧٩) الجريدة الماسونية : ١٤ ابريل ١٩٠٧ ، ص ص ١ ـ ٢ .

(٨٠) المجلة الماسونية : مايو ١٩٢١ ، ص ٣٠٨ .

(٨١) الميثاق : ١٥ يونيو ١٩٢٤ ، ص ٧٦ .

(٨٢) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ٩٧ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ص ٨٠ ـ ٨٦ .

(٨٤) نجدة فتحى صفوة : الماسونية فى الوطن العربى . مركز الدراسات العربية . لندن ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .

(٨٥) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٨٧) نجدة فتحى صفوة ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٨٨) جرجى زيدان ، مصدر سابق ، ص ص ٥٥ ـ ٥٧ .

(٨٩) شاهين مكاريوس : الأسرار الخفية فى الجمعية الماسونية ، مطبعة التمدن ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ١٠٣ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ص ٩٢ ـ ٩٦ .

(٩١) ادريس راغب : الدرجة الأولى ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٨٩٦ ، ص ص ٩٨ ـ ١٠١ .

(٩٢) راجع نص المقال : المقتطف ، فبراير ١٩١٠ ، ص ص ١٥٧ ـ ١٦٢ .

(٩٣) المصدرنفسة ، ص ١٥٩ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

(٩٥) المجلة الماسونية : أكتوبر ١٩٢١ ، ص ٣٠٩ .

(٩٦) أحمد زكى أبو شادى : الشفق الباكى ج ١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .

(٩٧) المقتطف : ابريل ١٩١٧ ، ص ٤٠٤ .

(٩٨) المقتطف : مايو ١٩٢٦ ، ص ٥٨٧ .

(٩٩) المجلة الماسونية : او سبتمبر ١٩٠٣ ، ص ١٦٨ .

(١٠٠) الجريدة الماسونية : ١٤ نوفمبر ١٩٠٦ ، ص ص ٢ ـ ٣ .

(١٠١) الجريدة الماسونية : ١٦ يوليو ١٩٠٧ ، ص ص ١ ـ ٤ .

(١٠٢) الأخبار الماسونية : يناير ـ فبراير ١٩٢١ ، ص ٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(١٠٥) المجلة الماسونية : ٣٠ نوفمبر ١٩٠٣ ، ص ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(١٠٦) السياسة الأسبوعية : ٢٤ نوفمبر ١٩٢٨ ، ص ٢٦ .

(١٠٧) المجلة الماسونية : اول اغسطس ١٩٠٣ ، ص ١٤٥ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(١٠٩) حافظ ابراهيم : ديوان حافظ ابراهيم ، ج ١ ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦٥ .

(١١٠) المنار : ٢٦ يوليو ١٩١١ ، ص ٥٤٥ .

(١١١) المجلة الماسونية : أول مايو ١٩٢١ ، ص ١٧٩ .

(١١٢) المجلة الماسونية : اول أكتوبر ١٩٢١ ، ص ٣١٠ .

(١١٣) السياسة الأسبوعية : ٢١ يوليو ١٩٢٨ ، ص ص ٥ ـ ٦ .

(١١٤) السياسة الأسبوعية : ٢٨ يوليو ١٩٢٨ ، ص ٤ .

(١١٥) المجلة الماسونية : اول فبراير ١٩٢٢ ، ص ص ١١٧ ــ ١١٨ .

(١١٦) النظام : ١٩ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٢ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(١١٨) النظام : ٢٨ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٣ .

(١١٩) النظام : ٥ مايو ١٩٢٢ ، ص ٢ .

(١٢٠) المجلة الماسونية : اول نوفمبر ١٩٢٢ ، ص ١٧ .

(١٢١) الميثاق : ١٥ مايو ١٩٢٤ ، ص ٥ .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(١٢٣) راجع بيان المحفل الأكبر حول هذا الموضوع فى المقطم : ٤ سبتمبر ١٩٢٤ ، وكذلك « الميثاق » فى ١٥ يونيو ١٩٢٤ .

(١٢٤) حنا أبو راشد : مصدر سابق ، ص ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(١٢٦) المقتطف : مارس ١٩٥٠ ، ص ص ١٨٨ ــ ١٩٠ .

(١٢٧) حنا ابو راشد : مصدر سابق ، ص ٣٨٩ .

(١٢٨) الفن : ١٥ يونيو ١٩٥٣ ، ص ص ٦ ــ ٧ .

(١٢٩) الأهرام : ٢١ ابريل ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(١٣٠) الأهرام : ١٩ ابريل ١٩٦٤ ، ص ١ .

(١٣١) الأهرام : ٢١ ابريل ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(١٣٢) آخر ساعة : ٣ يونيو ١٩٦٤ ، ص ٢٢ .

(١٣٣) نجدة فتحى صفوة : مصدر سابق ، ص ص ٣٤ ــ ٣٧ .

(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(١٣٥) لم استطع الحصول على معلومات حول هـذا الموضوع من وزارة الشئون الاجتماعية فقد اعتذر الجميع حول تقديم اى معلومات .

(١٣٦) S. Knight, Op. Cit., P. 229.

(١٣٧) صرح الخديو عباس حلمى فى سنة ١٩٤٤ أنه حين وصـل من فينا سنة ١٨٩٢ لتولى الحكم بعد وفـاة أبيه توفيق اتجه الى الجيش واتخذ اللباس العسكرى لاستمالة الضباط الى الحركة الوطنية ، ولكنه اكتشف أنهم « دخلوا الماسونية » التى كان يراسها الـردار الانجليزى ، فتحول الى الشباب المدنى ، ولبس لباسـهم . ومعنى هـذا ان المحـاولة الوحيـدة لاسـتغلال المـاسونية فى الحركة الوطنية خلال مرحلة استقرار الأولى لم تتجاوز النيـة الحسـنة من جانب الخديو ـ راجع : سامى عزيز ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

المحتويات

الصفحة

تقديم (السلسلة) ٥

مقدمة (المؤلف) ٧

تمهيد ١١

الفصل الأول :

مرحلة التأسيس (دور الأمير حليم) ٤٢

(دور جمال الدين الأفغانى) ٤٤

الفصل الثانى :

مرحلة الاستقرار (استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة) ٥٧

ـ احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات ٦٢

ـ التوسع الجغرافى ٧١

ـ ظهور الكتب والصحف الماسونية ٧٣

ـ النشاط الاجتماعى ٩٠

الصفحة

- التطورات السلبية ٩٢
- التورط السياسى ٩٤
- الانقســام ٩٩

الفصل الثالث :

مرحلة الانقراض (ازدياد الدعاية المضادة) . . ١٠٧
- الانكماش التدريجى للمحافل ١١١
- اهمال الدولة ١١٢
خــــاتمة ١١٧

ملاحق :

مصطلحات ماسونية ١٢٣
درجات الماسونية ١٢٥
نداء الى اهالى فلسطين ١٢٩
بيان الى اهالى فلسطين ١٣٥
ببليوجرافيا (كتب ونشرات وصحف ماسونية) . ١٣٧
هوامش ١٤٥

صـدر في هذه السـلسلة

١ ـ الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائقية ٠
د ٠ يونان لبيب رزق ٠

٢ ـ مجمع اللغة العربية ـ دراسة تاريخية ٠
د ٠ عبد المنعم الدسوقى الجميعى ٠

٣ ـ التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ـ دراسة فى فكر الشيخ محمد عبده ٠
د ٠ زكريا سليمان بيومى ٠

٤ ـ الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث
د ٠ محمد كمال يحيى ٠

٥ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « الشيخ حسن المرصفى وكتابه رسالة الكلم الثمان مع النص الكامل للكتاب » ٠
د ٠ أحمد زكريا الشلق ٠

٦ ـ صياغة التعليم المصرى الحديث ـ دور القوى السـياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢ » ٠
د ٠ سليمان نسيم ٠

٧ ـ دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث ٠
د ٠ شوقى عطا الله الجمل ٠

٨ ـ التطورات الاجتماعية فى الريف المصرى قبل ثورة ١٩١٩ ٠
د ٠ فاطمة علم الدين عبد الواحد ٠

٩ ـ المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ ٠
د ٠ لطيفة محمد سالم ٠

١٠ ـ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان ـ دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ ـ ١٨٤٨ » ٠

د ٠ نسيم مقار ٠

١١ ـ حول الفكرة العربية فى مصر ـ « دراسة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى المعاصر ٠

د ٠ فؤاد المرسى خاطر ٠

١٢ ـ صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ ـ ١٩١٢ ـ « دراسة تاريخية » ٠

د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠

١٣ ـ الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور ٠

د ٠ سامية حسن ابراهيم ٠

١٤ ـ العلاقات المصرية السودانية ١٩١٠ ـ ١٩٢٤ ٠

د ٠ أحمد دياب ٠

١٥ ـ حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين ٠

أحمد عصام الدين ٠

١٦ ـ مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال افريقيا ٠

د ٠ عبد الله عبد الرازق ابراهيم ٠

١٧ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « دراسة فى فكر احمد فتحى زغلول » ٠

د ٠ احمد زكريا الشلق ٠

١٨ ـ صناعة تاريخ مصر الحديث ـ « دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى » ٠

د ٠ حمادة محمود اسماعيل ٠

١٩ ـ الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ من ملفات الخارجية البريطانية ٠

د ٠ لطيفة محمد سالم ٠

٢٠ ـ الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ·
د · عادل حسين غنيم ·
٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ ـ « جمعية الانتقام » ·
د · زين العابدين شمس الدين نجم ·
٢٢ ـ قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ ·
د · زكريا سليمان بيومى ·
٢٣ ـ فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـ ١٩١٤ ·
د · حلمى أحمد شلبى ·
٢٤ ـ الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى افريقيا ·
د · شوقى الجمل ·
٢٥ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ·
د · فاطمة علم الدين ·
٢٦ ـ جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية ·
د · على شلش ·
٢٧ ـ السودان فى البرلمان المصرى ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ ·
د · يواقيم رزق مرقص ·
٢٨ ـ عصر حككيان ·
أ · د / أحمد عبد الرحيم مصطفى ·
٢٩ ـ صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية · ١٨٩١ ـ ١٩١٣ ·
د · حلمى أحمد شلبى ·
٣٠ ـ المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ·
د · سعيدة محمد حسنى ·
٣١ ـ دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ ·
د · عاصم محروس عبد المطلب ·

٣٢ ـ الطليعة الوفدية والحركة الوطنية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ٠
د ٠ اسماعيل محمد زين الدين ٠
٣٣ ـ دور الأقاليم فى تاريخ مصر السياسى ٠
د ٠ حمادة محمود اسماعيل ٠
٣٤ ـ المعتدلون فى السياسة المصرية ٠
د ٠ احمد الشربينى السيد ٠
٣٥ ـ اليهود فى مصر ٠
د ٠ نبيل عبد الحميد سيد أحمد ٠
٣٦ ـ مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ٠
د ٠ الهام محمد على ذهنى ٠
٣٧ ـ المعتدلون فى السياسة المصرية
ماجدة محمد حمود
٣٨ ـ مصر والحركة الوطنية ٠
أ ٠ د / محمد عبد الرحمن برج ٠
٣٩ ـ مصر وبناء السودان الحديث .
د ٠ نسيم مقار ٠
٤٠ ـ تطور الحركة النقابية للمعلمين المصريين ١٩٥١ ـ ١٩٨١
د ٠ محمد ابو الاسعاد
وبين يديك :
الماسونية فى مصر
د ٠ على شلش

رقم الايداع ١٩٩٣/٢٠٩٦

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3264 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب